ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الأول، السنة الأولى، رمضان ١٤٣٨هـ/ حزيران ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن

مركز إحياء التراث التابع
لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الأول، السنة الأولى
رمضان ١٤٣٨هـ/ حزيران ٢٠١٧م

مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة. مركز إحياء التراث.
الخِزانة : مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة.ــ كربلاء، العراق : مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، مركز إحياء التراث، 1438 هـ = 2017-
مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم
نصف سنوية.-السنة الأولى، العدد الأول (حزيران 2017)-
ردمد : 2521-4586
المصادر.
النص باللغات العربية والإنجليزية والإسبانية.
1. المخطوطات العربية--دوريات. 2. الأرشيف والمحفوظات--دوريات. ألف. العنوان.

Z115.1 .M355 2017 NO. 1
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الترقيم الدولي
ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م
كربلاء المقدّسة – جمهورية العراق

يمكن الاتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:

٠٠٩٦٤ ٧٦٠٢٢٠٧٠١٣ / ٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣

Web: Kh.hrc.iq

Email: Al-khizanah@alkafeel.net

صندوق بريد: كربلاء المقدّسة (٢٣٣)

الباب الأول

دراسة تراثية

مخطوطة جديدة عن الرواية البغدادية الخاصة بالغزو المغولي للعراق

New manuscript for the Baghdadi Novel on Mongol invasion of Iraq

يوسف الهادي

محقّق وباحث تراثي

العراق

Yusuf Al-Hadi

Heritage reviewer and researcher

Iraq

الملخص

بما أنّ أغلب المؤلَّفات الخاصة بالرواية البغدادية الحقيقية قد ضاع أو أُتلف، فهذا النصّ المعثور عليه الذي كتبه نيكپي بن مسعود (أو سعيد بن مسعود الكازروني كما نعتقد)، والذي ينتمي إلى الرواية البغدادية يشكِّل غنيمة علمية كبيرة.

فعلى الرغم من تشابه بعض فقراته مع ما ورد لدى المؤرِّخ المغولي رشيد الدين الهمذاني الشافعي (ت ٧١٨هـ)، ومع ما ورد لدى المؤرِّخ ابن العبري (ت ٦٨٥هـ)، وما ورد لدى هندوشاه النخجواني (كان حياً ٧٢٤هـ)، إلّا أنّه يعزّز من متانة الرواية البغدادية التي استند إليها هؤلاء جميعاً، والتي ظُلِمَت طويلاً وآن لها أن توضع بين أيدي الباحثين والقرّاء، وسيقرِّبنا من فهم حقيقة ما جرى على أرض الواقع من وقائع ذلك الغزو، وليس ما كتبه مؤرِّخون متحاملون لغايات غير نبيلة.

سقطت ورقة غلاف هذه المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس فلم نعرف عنوانها، وأمّا مؤلّفها فقد عرَّف نفسه في مقدمتها بقوله: «أفقرُ خلقِ الله الغنيّ المعبود، نيكپي بن مسعود بن محمّد بن مسعود». وهي كتاب ضخم في التأريخ العام، مكتوب باللغة الفارسية، يقع في أكثر من ٦٠٠ ورقة، بدأ فيه مؤلّفه بالتأريخ الأسطوري لإيران، ثم السيرة النبوية الشريفة، وعرَّج على دولة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ثم العباسية حتى آخر خلفائها، وخلال ذلك تكلّم على دويلات الطوائف التي قامت في إيران وما جاورها كدولة الصفاريين والسامانيين والغزنويين، كما عرَّج على دولة جنكيزخان حتى وفاته سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م.

Abstract

Since most of the novel compositions of the real Baghdadi novel has been lost or damaged. This text found somewhere which was written by Nikki bin Masood (or Saeed bin Msauj Alkazarona as we think) which belongs to Baghdadi novel is a great scientific booty:

Despite the similarity of some paragraphs with the statement that the Mughal Rashid al-Din Alhmzzati Shafi'i has mentioned (648-817 AH) and with what has been stated by the historian Ibn Al-Ebry (623-685 AH) and with what reported by Henducheh Alennkhjoine (he was alive in 724 AH), but it enhances the durability of the Baghdadi novel cited by all of them, which had long been wronged and it is its time to be placed in the hands of researchers and readers. This will bring us closer to understanding the truth of what happened on the ground and the facts of that invasion, not what was written by historians prejudiced without nobility.

The cover sheet of this kept manuscript landed at the National Library in Paris. Thus, we did not know its title. As for the author, he has introduced himself in the forefront, as saying «the poorest of Allah's creatures who is the richest, the one who is worthy to be worshipped, Nikki bin Masoud bin Mohammed bin Masoud» It is a huge book about history, written in Persian, it has more than 600 paper. Its author started with the legendary history of Iran and the biography Prophet Muhammad. Then he turned to tackle the State of the caliphs and the state of the Umayyad and then the Abbasid until the last successors. During that period, he spoke about statelets of communities that have been established in Iran and its environs as a Elsafarien, Semites and Ghaznawids. He also discussed the State of Genghis Khan until his death in 624 AH / 1227 AD.

المقدمة

روايتان حول الغزو المغولي للعراق وليست واحدة

في أثناء مراجعتنا التي توفّرنا فيها على دراسة تأريخ الغزو المغوليّ للعالم الإسلاميّ، كنّا قد اكتشفنا وجود روايتَيْنِ متمايزتَيْنِ عن الغزو المغوليّ للعراق، وهو الأمر الذي دوَّناه فيما كتبناه من بحوث خاصة بهذا الشأن:

الأولى: هي التي سمّيناها الرواية البغدادية، وهي الرواية الأصيلة التي تستند إلى ما كتبه مؤرِّخون من أهل بغداد، كانوا فيها عندما اجتاحها المغول ورأوا رأي العين وقائع ذلك الغزو الهمجيّ ودوَّنوه بتفاصيله، وأشهرهم بل قطب رحاهم المؤرِّخ الثقة عليّ بن أنجب المعروف بابن الساعيّ الشافعيّ (ت ٦٧٤هـ)، وظهير الدين ابن الكازرونيّ الشافعيّ (ت٦٩٧هـ)، وابن الفُوَطيّ الشيبانيّ الحنبليّ (ت ٧٢٣هـ)، وغيرهم من البغاددة، وتمتاز بالترابط المنطقيّ في تسلسل حوادثها وبعدم تناقضها في تفاصيلها.

الثانية: الرواية المختلَقة التي سمّيناها الرواية الشامية/ المصرية، وهي التي كتبها مؤرِّخون من بلاد الشام، وتابعهم عليها آخرون من مصر، وكتَّابها مجموعة من الشاميين من مريدي الشيخ ابن تيمية الحنبليّ (ت ٧٢٨هـ)، أشهرهم الذهبيّ الشافعيّ (ت ٧٤٨هـ) وابن كثير الشافعيّ (ت ٧٧٤هـ)، والسبكيّ الشافعيّ (ت ٧٧١هـ)، وابن تغري برديّ الحنفيّ المصريّ (ت٨٧٤هـ)، وغيرهم ممّن وُلدوا بعد واقعة الغزو المغوليّ للعراق بسنين، وبعضهم وُلد بعد قرون. ففضلاً عن أنّ أيّاً من المؤرِّخين المذكورين لم يكن في بغداد ساعة اجتياح المغول لها، فإنّ روايتهم تمتاز بتعصبها الطائفيّ وخرافيتها واستخفافها بعقول قرَّائها، إذ ركّزت على جعل السبب الأول والأخير لهذا الغزو هو شخص الوزير مؤيد الدين ابن العَلْقَميّ الأسديّ الإماميّ الذي قالوا إنه دعا المغول بعد سنة ٦٥٤هـ إلى غزو العراق، فجاؤوا ملبِّين دعوته، وهو كلام لا يستقيم مع الوقائع التأريخية التي تجعل هذا الغزو استكمالاً لمشروع مغوليّ للسيطرة على ما لم تتم السيطرة عليه حتى ذلك الحين من بقاع في الشرق (الصين) والغرب (العالم الإسلامي)، عندما أصدر الملك المغوليّ منكو قاآن عند اعتلائه العرش سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م أمره إلى

شقيقه هولاكو بالتوجه إلى غزو قلاع الإسماعيلية في إيران، ثم إلى غزو العراق والشام ومصر، فلبَّى هولاكو دعوته وتحرَّك من بلاد منغوليا بجيشه منذ سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. وقد أفردنا كتاباً للردّ على هذه الفرية مستعينين بما بقي من نصوص متناثرة من الرواية البغدادية الأصيلة، هو كتاب إعادة كتابة التأريخ، الغزو المغولي للعراق أنموذجاً[١].

انتشرت الرواية الشامية/ المصرية انتشاراً واسعاً بفعل ما فيها من شحن طائفي يروق لبعض الكتّاب أن يردّدوه، وما تزال حتى يومنا على ألسن كثير من الكتَّاب و بأقلامهم على الرغم من خرافيتها التي تقول إنّ الوزير ابن العَلْقَمِيّ «كاتَبَ التتارَ وأطمَعهم في البلاد، وأرسل إليهم غلامَه وأخاه»[٢]. وبغية أن لا تكتشف رسائله التي سيبعث بها إلى المغول، فقد حفر رسالتين على جمجمتي أخيه وأحد غلمانه حتى «صار المكتوبُ فيه كلّ حرف كالحفرة في الرأس، ثم تركه عنده حتى طلع شعرُه وأرسله إليهم. وكان مّما كتبه على رأسه: إذا قرأتم الكتابَ فاقطعوه، فوصل إليهم فحلقوا رأسَه وقرأوا ما كَتَبَه، ثم قطعوا رأسَ الرسول»[٣]، ونفَّذ المغولُ ما أمرهم به، فقتلوا غلامَه وأخاه. وإنّ هذا يعني أنّه حفر الجمجمتين بإزميل حديد، وأنّ جمجمتيهما كانتا من نحاس!

والحقيقة أنّه لم تكن هناك حاجة لمَن يرسل رسالة سرية أو علنية أن يتخذ هذه الاحتياطات؛ ذلك أنّ مداخل بغداد كانت بلا رقابة، وكانت وظيفة الجيش هي الاستعراضات في وسط بغداد أيام الأعياد، بل إنّ الخلفاء أنفسهم كانوا يراسلون المغول ويبعثون الرُّسُل إليهم على عهد ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم: الناصر لدين الله، والمستنصر لدين الله، والمستعصم بالله، وكان الملوك المغول يحتقرونهم ويسبُّونهم.

---

(١) كانت الطبعة الأولى تحمل عنوان: إعادة كتابة التأريخ، إسقاط الخلافة العباسية أنموذجاً، وفي الطبعة الثانية غيرنا العنوان إلى إعادة كتابة التأريخ، الغزو المغولي للعراق أنموذجاً.

(٢) هذا ما ذكره مؤرِّخو الرواية الشامية/ المصرية ومنهم: مفرّج الكروب، ابن واصل: ٢١٥/٦؛ و ذيل مرآة الزمان، اليونيني: ٨٧/١؛ و تأريخ الإسلام، الذهبي: ٣٤/٤٨، والعبر في خبر من غبر: ٢٢٥/٥، وفيه: «أرسل أخاه ومملوكه»؛ وعيون التواريخ، ابن شاكر: ١٣٢/٢٠.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، السُّبكي: ٨/ ٢٦٢ - ٢٦٣، ويفترض السُّبْكيُّ أنّ الرسول واحد، ورأينا آنفاً أنهما اثنان: غلامه وأخوه.

لقد قال المؤرِّخون الشاميون/ المصريون: إنّ المستنصر كان له جيش من ١٠٠ ألف مقاتل، وكان «يصانع التتار ويهاديهم ويرضيهم»[١]. ولو كان قوياً وله هذا الجيش لم يصانعهم أو يهادِهم (أو يهادنهم) أو يطلب رضاهم. وعلى الرغم من ذلك كان الملوك المغول يحتقرون المستنصر ويهدِّدونه في رسائلهم[٢]. وحدث ما هو أكثر إثارة للعجب والغرابة، وهو أنّنا نجد المغول يدخلون أربيل والموصل بإذن من الخليفة المستنصر سنة ٦٣٠هـ؛ لشراء ما يحتاجونه من أقمشة وجِمال، وخُصِّصت لهم رواتب أيضاً[٣].

وكانت للمستعصم أيضاً علاقة طيبة بالبلاط المغولي، فحين ارتقى كيوك خان العرشَ في ٦٤٤هـ/ ١٢٤٨م بعث الخليفة المستعصم وفداً للتهنئة برئاسة قاضي القضاة فخر الدين الدامغانيّ الحنفي[٤].

وقد يكون وصول رسولين من المغول في ٦٤٤هـ إلى بغداد رداً على زيارة التهنئة تلك، إذ «وصلَ رسولان من التتر، أحدهما من بركة، والآخر من بايجو، فركب لتلقيهما كافة الزعماء في عساكرهم إلى ظاهر البلد، واصطفُّوا صفَّينِ وجاز الرسولان في وسطهم»[٥].

كما كانت للمغول صلات متينة بحاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ والد زوجة الدُّويدار الصغير قائد الجيش العباسي ترجع إلى ما قبل سنة ٦٤٠هـ[٦]، ولشعوره بالقوة لتحالفه مع المغول فقد فَرَضَ - ربما بأمر من المغول - في سنة ٦٤٢هـ ضريبة على أهل الشام سمَّاها(قطيعةَ التَّتَر)، يجمعها سنوياً منهم وكان يبعث بها إلى الملك المغولي في

(١) تأريخ الإسلام: ٣٤/٤٨؛ وانظر أيضاً: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ٤٨/٧، تأريخ الخلفاء، السيوطي: ٤٦٦.

(٢) تاريخ جهانكشاي، الجويني: ٢٩٧/١، ٣٠٢.

(٣) كما يقول المؤرخ المعاصر لتلك الوقائع ابن نظيف الحمويّ في التأريخ المنصوري: ٢٥٩.

(٤) تاريخ جهانكشاي: ٢٩٧/١؛ تأريخ الزمان، ابن العبري: ٢٩٠؛ تأريخ مختصر الدول: ٤٤٨. وينبغي أن يكون هو أحمد بن الحسين بن محمّد ابن الدامغانيّ (ت ٦٦٠هـ)، قال الدكتور بشار عواد معروف: «بيت الدامغانيّ من أعظم بيوتات الحنفية ببغداد رئاسةً وعلماً وفضلاً وتقدماً، وكانوا يتولون منصب قاضي القضاة» (انظر: هوامش على التكملة للمنذريّ، معروف: ٧٤/١).

(٥) العسجد المسبوك، الأشرف الغساني: ٥٤٢.

(٦) الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، القزّاز: ٧٦، ٧٨، نقلاً عن كتاب العملة الإسلامية في العهد الأتابكي للحسيني.

منغوليا[١]، وعندما غزا هولاكو العراق أمدّه بدر الدين لؤلؤ بالأسلحة والمعدّات والمؤن والهدايا التي ساعدته على اجتياح بغداد، أرسلها إليه بيد نجله الملك الصالح وهم جيش عرمرم[٢]، يقول ابن كثير: «وجاءت إليهم (إلى المغول) أمدادُ صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة، وميرتُه وهداياهُ وتحفُه»[٣]. كما أرسل «جماعةً من عسكره نجدةً له»[٤] بقيادة نجله هذا.

وهذا يعني أنَّ المغول كانوا قد اخترقوا الحكومة العباسية بطولها وعرضها[٥]، فبدر الدين لؤلؤ كان والد زوجة الدُّويدار الصغير القائد العام للقوات العباسية، فما المانع من أن يقدّم للمغول ما يريدون من معلومات عن الدولة العباسية بإدارتيها المدنية والعسكرية، وهو الذي كان يرتجف رعباً لمجرد سماعه أيّ تهديد من الملوك المغول؟[٦]

ومّما يؤسف عليه أنّنا وجدنا كتّاباً معاصرين يوردون أسطورة حفر ابن العَلْقَمِيّ الرسائل على الجماجم مصدِّقين بها، وهو أمر يبعث على الخجل في كتابات كان ينبغي لها أن تكون علمية، فممّن أوردها من معاصرينا: الدكتور سليمان بن حمد العودة أستاذ التأريخ الإسلامي في جامعة القصيم[٧]، والدكتور عبد السلام الترمانينيّ[٨]،

---

(١) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي: ٧٤٥/٨، وفي ١٢٧/١٥ من طبعة الجبوري؛ تأريخ حوادث الزمان وأنبائه (اختيار الذهبي)، ابن الجزري: ١٩٢؛ تأريخ الإسلام: ١٢/٤٧؛ نزهة الأنام، ابن دقماق: ١٥٥؛ السلوك، المقريزي: ٤١٩/١، وفي طبعة المكتبة العلمية: ٤١٩/١، وفيه: «إنِّي قررتُ على أهل الشام: في كلّ سنة...»، كان مقدارها على الغنيِّ عشرة دراهم، وعلى الوسط خمسة، وعلى الفقير درهماً واحداً.

(٢) عن تقديمه المؤن والأسلحة والمعدّات للمغول، انظر مثلاً: مفرج الكروب: ٢١٥/٦؛ ذيل مرآة الزمان: ٨٨/١؛ تأريخ الإسلام: ٣٥/٤٨؛ النجوم الزاهرة: ٤٨/٧؛ عقد الجمان (حوادث ٦٤٨-٦٦٤هـ)، العيني: ١٧٩. وقد أرسلها بيد نجله الملك الصالح.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٣٣/١٣.

(٤) تأريخ مختصر الدول: ٤٨٢.

(٥) انظر تفاصيل ذلك في كتابنا إعادة كتابة التأريخ، الغزو المغولي للعراق أنموذجاً.

(٦) انظر: تأريخ مختصر الدول: ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٧) كيف دخل التتر بلاد المسلمين: ٥٥ - ٥٦.

(٨) أحداث التأريخ الإسلامي: ٩٦٠/٢.

والدكتور علي محمّد الصلّابي[١]؛ ولذا فإنّ بعضهم كان يكتفي بالقول إنّه اتصل بالمغول من غير أن يشرح الكيفية التي تمّ بها ذلك الاتصال؛ ربما لإدراكه خرافية حفر الرسائل المزعومة تلك.

وهذا الاتصال المزعوم بين الوزير والمغول يفنّده التأريخ الذي زعَمَه مختلِقوه، حيث قيل: إنه كتب الرسالتين بعد سنة ٦٥٤هـ، بينما نعلم أنّ هولاكو كان قد تحرّك بجيشه منذ سنة ٦٥٠هـ في طريقه إلى بغداد.

إنّ ابن العَلْقَمِيّ أصبح وزيراً منذ سنة ٦٤٢هـ على عهد الخليفة المستعصم، بينما نجد العساكر المغولية بدأوا بالاقتراب من بغداد أو التحرش بجيشها وغزو بعض المدن العراقية منذ سنة ٦١٨هـ، واستمروا حتى ٦٥٥هـ (قبل احتلالهم بغداد بعام واحد)، ففي سنة ٦١٨هـ، أي عندما كان عمر الخليفة المستعصم ٩ سنوات وصلوا إلى الطريق المتجه إلى بغداد، وهم يطاردون جلال الدين منكبرتي، إذ «وصلت الأخبار بوصول التتر إلى كرمان شاهان قريباً من بغداد، وانزعج الخليفة، وأمرَ الناسَ بالقنوت في الصلاة، وحصَّنَ بغداد واستخدمَ العساكر»[٢]، وحدث مرةً أنهم وصلوا في سنة ٦٤٣هـ «إلى سوق الخيل ظاهر بغداد، واستعدت عساكر المستعصم بالله للقائهم»، لكنهم انسحبوا تحت جنح الظلام، وفي الصباح «تبعتهم عساكر بغداد يقتلون مَن تخلَّف منهم وينهبون، وعادوا إلى بغداد»[٣].

واستمرت الغزوات المغولية على المدن القريبة من العراق وفي داخل حدوده مدة ثمانية وثلاثين عاماً (٦١٨ - ٦٥٦هـ/١٢٢١ - ١٢٥٨م)، خلال عهود أربعة خلفاء عباسيين هم: الناصر لدين الله، والظاهر بأمر الله، والمستنصر بالله، ثم المستعصم بالله، فغزوا مدناً مثل: الموصل، وكركوك، وداقوق، وأربيل، والقرى القريبة من بغداد[٤]، فضلاً

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار: ٢٣٥.

(٢) مرآة الزمان: ٦١٩/٨، حوادث سنة ٦١٨هـ- (ط حيدر آباد الدكن)، ولم تُذكر كرمان شاهان في الطبعة التي حقّقها الدكتور كامل الجبوري (انظر: ٦١٠/١٤). وكرمان شاهان أو كرمانشاه الحالية هي مدينة إيرانية قريبة من الحدود العراقية اسمها القديم قرميسين.

(٣) مفرج الكروب: ٣٥٥/٥.

(٤) فصّلنا بشكل وافٍ غزواتهم هذه للأراضي والمدن العراقية في كتابنا إعادة كتابة التأريخ، فليراجَع.

عن غزوهم مدناً في داخل إيران وبلاد الجزيرة، حيث كانوا يفتكون بأهلها ويأسِرون ويَنهَبون؛ تُرى مَن الذي دعاهم إلى غزو الأراضي العراقية طوال تلك السنوات؟

وزعمت الرواية الشامية/ المصرية زعماً آخر، هو أنّ الوزير ابن العَلْقَمِيّ - ولكي يضعف قدرات الجيش العباسي - قد اختطف ما مجموعه ٣٥ ألف مقاتل من قوات النخبة في الجيش العباسي مقوَّمين بمائتي ألف فارس[١]، وأخفاهم في مكان ما وضاع خبرهم إلى الأبد[٢]، «فلما فَعَل ذلك كتب إلى الملك هولاكو بما فعله، فركب هولاكو وقصدَ بغداد إلى أن نَزَلَ عليها...»[٣].

وهي رواية تجعل الآلاف من أولئك الجنود الذين كان ابن العَلْقَمِيّ يلقي القبض عليهم ويخفيهم كأنهم دجاج يُجمع في أقفاص في أماكن سِرِّيّة ومجهولة خارج بغداد، فلا يعلم بهم أحدٌ، بل ولم تقع عليهم عينُ أحد من أهل بغداد، وكانوا كأنهم أُصيبوا بالشلل والخرس، حيث لم يكن أيُّ واحد منهم يحتجُّ أو يقاوم بسيفه أو لسانه. إنَّ هذه الرواية لا تفسِّر لنا لماذا سكت مناوئو ابن العَلْقَمِيّ على عمليات تخفيض الجند التي كانت ستؤدي حتماً إلى ترك البلاد مكشوفة من غير حماية؟ ولماذا لم يتحرك الدُّوَيْدار الصغير «مقدَّم جيوش العراق» لاتخاذ إجراء بهذا الشأن، مع أنّ ابن العَلقَمِيّ كان لديه عدد محدود من الجنود الأتراك يشكّلون قوة حماية له، وكانوا غير مخلصين له، فحين حدثت مشاحنة بينه وبين الدُّوَيْدار الصغير مرةً انضمَّ أكثرُ المماليك الأتراك من أفراد حمايته إلى الدُّوَيْدار الصغير[٤].

الحقيقة هي أنّ الخليفة المستعصم نفسه -لبخله ولإيمانه بأنّ المغول لن يصلوا بغداد- هو الذي خفّض أعداد الجند ومنع عنهم الرواتب، فكانوا يشحذون على أبواب البيوت والجوامع، قال ابن واصل: «كان المستعصم متديناً متمسكاً بمذهب أهل السنة والجماعة على ما كان عليه أبوه المستنصر، وجدّه الظاهر رحمهم الله أجمعين،

(١) أي أنهم كانوا يعادلون من حيث الكفاءة القتالية ٢٠٠٠٠٠ فارس.

(٢) مورد اللطافة، ابن تغري بردي: ٢٣٢/١؛ جغرافياي حافظ أبرو، حافظ أبرو: ٦٢/٢ - ٦٣؛ الخميس في أحوال أنفس نفيس، الديار بكري: ٢ /٤٢٠.

(٣) الجوهر الثمين، ابن دقماق: ٢٢٠/١ - ٢٢١، نزهة الأنام: ٢٣٤.

(٤) كتاب الحوادث، مجهول: ٣٤٧.

وحسَّن له أصحابه جمعَ الأموال والاقتصار على بعض مَنْ ببغداد من الجُند وقطْع الباقين، ومسالمة التتر وحمْل القطيعة إليهم لينكفّوا عنه، وقالوا له: هذه الطائفة قد ملكوا معظم بلاد الإسلام، ولم يقف أحدٌ من الملوك قُدَّامهم، فالحزم مهاداتهم ومهادنتهم، وأن يحمل إليهم في كلّ سنة من المال ما يرضيهم ليكفُّوا وينكفُّوا؛ فأذعن إلى ذلك وقطع أكثر مَن عنده من العساكر»[(١)]. وقبل عام من وصول المغول بغداد «كان الخليفةُ قد أهمل حال الجند، ومَنَعَهم أرزاقهم، وأسقطَ أكثرَهم من دساتير ديوان العرض، فآلت أحوالهم إلى سؤالِ الناسِ، وبذْلِ وجوهِهم في الطلبِ في الأسواقِ والجوامعِ، ونَظَمَ الشعراءُ في ذلك الأشعارَ»[(٢)].

إنّ رواية المؤرِّخين الشاميين/ المصريين التي تتحدث عن أنّ الوزير ابن العَلْقَميّ حَفَر بعد سنة ٦٥٤هـ رسالتين على جمجمتي غلامه وأخيه يدعو فيهما المغول إلى القدوم فقدِموا!! لا يمكن لعاقل أن يركن إليها حتى لو وُصِفَ رواتها بأنهم مؤرِّخون ثقات!!

إنّ هذه الرواية التي أُلّفت في الأوساط المحيطة بابن تيمية كانت تهدف إلى إبعاد النقد واللوم، بل والتجريم عن الخليفة العباسيّ المستعصم الحنبليّ والقادة العسكريين الأتراك بقيادة الدُّويدار الصغير الحنبليّ، وإلقاء التقصير على عاتق الوزير الذي لم يكن أمر الجيش بيده، بل بيد الدُّويدار الصغير وبقية القادة، ولقد كان الأجدر بأولئك المؤرِّخين أن يتكلموا على سيرة الخليفة المستعصم العابث اللّاعب بالطيور الذي على الرغم من كون مؤرِّخي هذه المدرسة نفسها قد كشفوا من مساوئه بما يجعله المسؤول الأول عّما حلَّ بالخلافة والبلاد الخاضعة لها من مآسٍ، لكنهم لم يحمّلوه المسؤولية، وآثروا الترويج لرواية هم ألَّفوها لغايات إيديولوجية، ويعتقد الباحث السعوديّ الدكتور سعد الغامديّ أنّ المؤرِّخين الذين اتّهموا الوزير ابن العَلْقَميّ بتهمة الخيانة «كانوا مؤرِّخين سُنِّيين متطرِّفين، وجَّهوا إليه تلك التُّهم أصلاً بدافع من التعصّب المذهبيّ، تمليه حوافز عدوانية وعواطف تحامليَّة يكنُّونها تجاه هذا الوزير المسلم الشيعيّ المذهبّ؛ لهذا فإنّ المرء ليقف عند روايات من هذا القبيل موقفَ

(١) مفرج الكروب: ٣٢١/٥ - ٣٢٢، ٢١٤/٦، وفيه: «وأنّه ما دام يحمل المالَ إليهم لا يقصدونه»، انظر أيضاً: نهاية الأرب: النويري: ١٨٩/٢٣ - ١٩٠.

(٢) كتاب الحوادث: ٣٥٠؛ عيون التواريخ: ١٢٩/٢٠؛ ذيل مرآة الزمان: ٨٧/١.

الشك، هذا إذا لم يرفضها رفضاً قاطعاً، وإنّ ما أورده أولئك المؤرِّخون في تقاريرهم حولَ هذا الشأن لا يقوم على أساس علمي دقيق ومحقَّق»[١].

ويكفي أن نشير إلى بعض ما قاله أصحاب الرواية الشامية/ المصرية في المستعصم؛ لندرك جسامة ما ارتكبه هذا الخليفة بحقّ الأمة التي سلّمته مقاليد أمرها، قال فيه الذهبيّ: «كان يلعب بالحَمام، ويهمل أمر الإسلام»[٢]، وقال ابن فضل الله العمريّ الشافعيّ: إنّ عدد الطيور التي يقتنيها بلغ ٢٠٠٠٠ طائر، ثمَّ أضاف: «وأُغْرِيَ باللَّعِب بالحَمام، فجَلَبَ على المسلمين جالَب الحِمَام»[٣]. وكان له فريق من «المِطْيَرْجِيَّة»[٤] في قصره يُدعون البَرَّاجين، وكان هناك أحد السُّوقَة يُدعى ابن الدرنوس، وكان عاملاً في إحدى كُوَر صناعة الطابوق، لكن معرفته بالطيور وأنواعها وسلالاتها جعلت المستعصم يتخذ منه مستشاراً خاصاً له «يشاوره في الأمور ويعمل برأيه»[٥]، وكان ممّن بعثهم للتفاوض مع هولاكو.

وكان المستعصم منهمكاً بالغناء والرقص، حتى عُرِفَ عنه أنه «كان مغرَماً بسماع الملاهي، محبّاً للهو واللعب، يبلغه أنَّ مغنِّيةً أو صاحبَ طربٍ في بلدٍ من البلاد فيراسل سلطان ذلك البلد في طَلَبِهِ»[٦]، بل إنّه لم يترك هواياته العابثة هذه حتى عندما احتل القائد المغولي بايجو نويان جانب الكرخ، وبدأ يطلق سهامه على الرصافة، حيث كان جالساً وبين يديه مراهقة تُدعى عَرَفَة تؤدي إحدى رقصاتها، فجاءها سهمٌ مغولي من أحد شبابيك القصر فقَتَلَها، فتألّم الخليفة وكان ردُّ فعله أنّه أمر بإغلاق النوافذ بألواح الخشب؛ كي لا تنفذ منها السهام[٧].

---

(١) سقوط الدولة العباسية، الغامديّ: ٣٤٢.

(٢) تأريخ الإسلام: ٢٥٩/٤٨.

(٣) مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري: ٢٤٤/٢٤.

(٤) يسمَّى لدينا في العراق مَن يربِّي الحمام في بيته للَّعب به وتحفيزه للطيران على أسطح المنازل بـ«المِطْيَرْجِيّ».

(٥) كتاب الحوادث: ٤٤٣.

(٦) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، سبط ابن قنينو: ٢١٥.

(٧) نقلنا هذه الواقعة من كتاب الحوادث: ٣٥٤ - ٣٥٥؛ البداية والنهاية: ٢٣٣/١٣. انظر: تفاصيل أُخر عن شخصية الخليفة المستعصم في كتابنا إعادة كتابة التأريخ بطبعتيه الأولى والثانية.

وكان أيضاً شخصاً طمّاعاً جشعاً غير أمين، وأشهر سرقاته أنّه صادر الوديعة التي أودعه إياها لديه الملك الناصر داود الأيوبيّ عند التجائه إليه، حتى قال ابن كثير: «كان سُنّيّاً على طريقة السلف واعتقاد الجماعة، ولكن كان فيه لِينٌ وعدمُ تيقُّظٍ، ومحبةٌ للمال جمَّة، ومن جملة ذلك أنّه استحلَّ الوديعة التي استودعه إياها الناصر داود ابن المعظّم، وكانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار، فاستُقبح هذا من مثل الخليفة وهو مُستقبَح ممّن دونه بكثير، بل إنّ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾[١] ...»[٢]. وانتشر صيت هذه الخيانة على صفحات مؤلّفات أتباع المدرسة الشامية/ المصرية خصوصاً[٣]، ومع ذلك ظل الخليفة مبجّلاً لدى أتباع هذه المدرسة، وأنه الخليفة وأمير المؤمنين والإمام «الذي يعدُّه أهل الإسلام إماماً بالحق، والحاكم في دمائهم وفُروجهم»[٤].

وكانت للمستعصم حاشية من اللصوص الجشعين الذين لم يتركوا لصوصيتهم حتى في أشدّ الساعات خطورة على البلاد والعباد، وكان أغلب أمرائه وقادته سُرَّاقاً، فحين كانت القوات المغولية ترمي بغداد بسهامها وقذائفها، تنبه الخليفة لأهمية «الدفاع الكامن»، وخصَّص مالاً لتشكيل قوة من الرماة تقف على أسوار المدينة للدفاع، فسرق رجال البلاط وأعوان الديوان القسم الأكبر منه[٥]، فلم يصل لحملة التجنيد المتأخرة تلك إلّا القليل.

و يا للأسف فإنّ مؤرِّخي المدرسة الشامية/المصرية لم يُلقوا بمسؤولية ما حدث

---

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٧٥.

(٢) البداية والنهاية: ٢٣٨/١٣. انظر تفاصيل وافية عن شخصية الخليفة المستعصم في كتابنا إعادة كتابة التأريخ بطبعتيه الأولى والثانية.

(٣) عن استيلاء المستعصم على وديعته، انظر: مفرج الكروب: ٦/ ٧٨، ١٨٣ - ١٨٦، ١٩١ - ١٩٣؛ تأريخ مجموع النوادر، قرطاي العزي: ٩٩ - ١٠٠؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء: ١٧٩/٢؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي: ١٧٦/٢؛ تأريخ الإسلام: ٢٦/٤٨؛ عيون التواريخ: ٩٣/٢٠؛ تحفة ذوي الألباب، الصفدي: ١١٥/٢؛ الذهب المسبوك: ١١٣؛ عقد الجمان: ١٢٠؛ إنسان العيون، ابن أبي عذيبة: ٣٣٨؛ عقود الجمان، الزركشي: الورقة ١١٢أ؛ روض المناظر، ابن الشحنة: الورقة ١٣٧أ؛ منتخب الزمان، ابن الحريري: ٣٤٧/٢؛ صدق الأخبار، ابن سباط: ٣٦٤/١.

(٤) على حد تعبير المؤرخ وَصّاف الحضرة في تجزية الأمصار، الورقة ٥٦.

(٥) مختصر التأريخ، ابن الكازروني: ٢٧٢.

على خليفة كهذا، وإنما انطلقوا يؤلّفون رواية حول ما أسميناه بحفر الرسائل على الجماجم النحاسية.

وإنّ الإنصاف يستلزم القول إنّ الوزير ابن العَلقَميّ كان استثناء في الملاك العامل مع المستعصم؛ ذلك أنّه كان عالماً، أديباً، شاعراً، أميناً نبيلاً، لم يلوّث يديه بسرقة، ولم يظلم أحداً، ترجمه ابن الطِّقْطَقَى بقوله: «كان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزِّهاً مترفعاً...، وكان من أعيان الناس وعقلاء الرجال، وكان مكفوفَ اليد، مردودَ القول، يترقب العزلَ والقبض صباحَ مساءَ»[١]، وفسَّر ذلك بحسد كبار المسؤولين في ديوان الخليفة له، ممّا أدى بالخليفة إلى نزع يده عن أكثر الصلاحيات التي كان ينبغي له أن يخوِّله بممارستها، فقال: «وكان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه ويحسدونه، وكان الخليفة المستعصم يعتقد فيه ويحبّه، وكثروا عليه عنده، فكفَّ يدَه عن أكثر الأمور»[٢]. وهو ما يؤيده الإيجي بقوله: «كان مكفوفَ اليد، مردودَ القول، يترقب العزلَ والقبضَ عليه»[٣]. ولم نجد حتى بين مَن هو أشد المؤرِّخين بغضاً لابن العلقميّ مَن يذكر عنه أنّه كان يجمع حوله المغنّين والمغنّيات والراقصين والراقصات، أو أنّه سرق مالاً، كما هو حال الخليفة وحاشيته، بل العكس هو الصحيح، فكان مشهوراً بالأمانة والديانة[٤]، حتى إنّ أحد أعلام الإمامية في عصره العالم الجليل رضي الدين ابن طاوس يذكره بقوله: «صديقي الوزير محمّد بن أحمد بن العَلْقَمِيّ، ضاعفَ اللهُ سعادتَه، وشرَّفَ خاتمتَه...»[٥]. وكانت لسبط ابنِ الجوزيّ الحنبليّ الحنفيّ (ت٦٥٤هـ) تجربة شخصية مع ابن العَلْقَمِيّ، ذلك أنه لازمه خلال زيارته لبغداد التي استمرت من شهر رمضان سنة ٦٤٤ هـ حتى صفر ٦٤٥ هـ (أي لما يزيد على خمسة أشهر) ولم يذكر ما يشين شخصَه، بل وصفه بقوله: «كان رجلاً فاضلاً، صالحاً، عفيفاً، ديّناً، قارئاً للقرآن»[٦].

(١) الفخري، ابن الطِّقْطَقَى: ٣٣٣.

(٢) الفخري، ابن الطِّقْطَقَى: ٣٣٨.

(٣) تحفة الفقير، الإيجي: الورقة ٢٧٩ب.

(٤) انظر تفاصيل عن حياته في كتابنا إعادة كتابة التأريخ (الطبعة الثانية، ٥٣ - ٦٤).

(٥) رسالة المواسعة والمضايقة، ابن طاوس: الورقة ٢٩٧ب.

(٦) مرآة الزمان: ٧٤٧/٨.

وبما أنّ أغلب المؤلّفات الخاصة بالرواية البغدادية الحقيقية قد ضاع أو أُتلف، فهذا النصّ المعثور عليه الذي كتبه نيكپي بن مسعود (أو سعيد بن مسعود الكازرونيّ كما نعتقد)، والذي ينتمي إلى الرواية البغدادية، يشكِّل غنيمة علمية كبيرة:

فعلى الرغم من تشابه بعض فقراته مع ما ورد لدى المؤرِّخ المغولي رشيد الدين الهمذانيّ الشافعيّ (ت ٧١٨هـ)، ومع ما ورد لدى المؤرِّخ ابن العبريّ (ت ٦٨٥هـ)، وما ورد لدى هندوشاه النخجوانيّ (كان حياً سنة ٧٢٤هـ)، إلّا أنّه يعزّز من متانة الرواية البغدادية التي استند إليها هؤلاء جميعاً، والتي ظُلِمَت طويلاً وآن لها أن توضع بين أيدي الباحثين والقرّاء، وسيقربنا من فهم حقيقة ما جرى على أرض الواقع من وقائع ذلك الغزو، وليس ما كتبه مؤرِّخون متحاملون لغايات غير نبيلة.

مخطوطة الكتاب موضع البحث

سقطت ورقة غلاف هذه المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس[١] فلم نعرف عنوانها، أمّا مؤلّفها فقد عرَّف نفسه في مقدمتها بقوله: «أفقرُ خلقِ الله الغنيّ المعبود، نيكپي بن مسعود بن محمّد بن مسعود». وهي كتاب ضخم في التأريخ العام، مكتوب باللغة الفارسية، يقع في أكثر من ٦٠٠ ورقة، بدأ فيه مؤلّفه بالتأريخ الأسطوري لإيران، ثم السيرة النبوية الشريفة، وعرَّج على دولة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، ثم العباسية حتى آخر خلفائها، وخلال ذلك تكلّم على دويلات الطوائف التي قامت في إيران وما جاورها كدولة الصفاريين والسامانيين والغزنويين، كذلك عرَّج على دولة جنكيزخان حتى وفاته سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م. وتوجد فيه بعض الأخبار النادرة مثل الكلام على البردة التي خلعها النبيّ الكريمﷺ على الشاعر كعب ابن زهير، وكيف أنّها تنقّلت بأيدي الخلفاء الأمويين، ثم العباسيين حتى وصلت إلى المستعصم بالله ثم إلى حفيدته من ابنه أحمد، السيّدة النبيلة الجليلة التي سمّاها «خديجة الزمان وملكة الملكات رابعة خاتون» زوجة الحاكم هارون بن عطا ملك الجوينيّ حاكم العراق المعيَّن من قِبَل المغول[٢].

(١) تحت الرقم: بلوشيه (Blochet)، ١/ ٢٥٣.

(٢) انظر: تأريخ، نيكپي: الورقة ٤٥٧أ.

ترجمة المؤلّف

لم نجد اسم هذا المؤلِّف في أيٍّ من كتب التراجم أو النقول التأريخية من المصادر القديمة، لكنّ اسمه مثير للتأمل؛ ذلك أنّ نيكپي (بالباء الفارسية) تعني بالفارسية السعيد أو المسعود والميمون، فإذا عرَّبنا هذه الكلمة فسيصبح اسمه: «سعيد بن مسعود بن محمّد»، وعلى هذا نحتمل أن يكون هو نفسه الشخص الذي يرد ذكره في المصادر وفهارس المؤلّفين باسم «سعيد بن مسعود بن محمّد الكازرونيّ»[١] المتوفى سنة ٧٥٨هـ، ونحن نميل إلى أن يكون هو نفسه لوجود سلسلة الأسماء ذاتها التي تتكرر في اسمه، ونعتقد أنّ كثرة أسماء مثل سعيد وسعيد الدين ومسعود الدالَّة على السعادة في اسمه دعاه إلى أن يلقِّب نفسه باسمٍ فارسيٍّ جامع هو «نيكپي»، الذي قلنا إنه يعني المسعود والميمون.

وكثيراً ما يقع الخلط في اسم مؤلّفنا هذا واسمي نجليه اللذين سنترجمهما، وكانا عالمِين أيضاً ولهما مؤلّفات، بل إنّ هذا الخلط في اسمه حدث حتى في كتاب معاصره جنيد الشيرازيّ؛ بسبب تصحيف يمكن حدوثه بأقلام النّساخ.

بعد جهد جاهد تمكَّنا من تثبيت اسم الأب استناداً إلى معطيات مستقاة من اسمي نجليه، وكذلك ما ورد في صفحات بعض مؤلّفاته المعثور عليها.

وبعبارة أخرى فإنّ اسمه ينبغي أن يكون «سعيد (أو سعيد الدين) بن مسعود بن محمّد بن مسعود بن محمّد بن علي بن أحمد بن عمرالبلياني ثم الكازرونيّ، ويُكنّى أبا المحمّدين». وهو الاسم الذي نجده في الكتب التي ترجمت نجليهِ المحمَّدينِ، وكذلك في بعض مؤلّفاته ومنها كتابه (المنتقى في سِيَر مولد النبيّ المصطفى) الذي ألّفه بين سنة ٧٣٢ و ٧٥٨هـ، وهي السنة التي توفي فيها.[٢]

ونثبته هنا على أنّه الاسم الكامل له، كما نجده لدى حاجي خليفة عند ذكره

(١) انظر مثلاً: كشف الظنون، حاجي خليفة: ١٦٨٨/٢، سلَّم الوصول إلى طبقات الفحول: ٢٦٦/٣. ووردت وفاته في المصدرين سنة ٧٥٨هـ. وفي هدية العارفين: ٣٩١/١؛ والأعلام، الزركلي: ١٠١/٣، ذُكر أنّه توفي سنة ٧٨٥هـ، وهو وهْم منهما.

(٢) انظر: أدبيات فارسي بر مبناي، إستوري: ٧٧٩/١.

كتابه (المنتقى في السِّير)، فقال: «الإمام سعيد الدين سعيد بن مسعود بن محمّد بن مسعود الكازرونيّ، شارح المشارق وصاحب صفاء الصدور، وكتاب المسلسلات، المتوفّى سنة ٧٥٨هـ...»[١]. وهو من أهل السنة والجماعة كما يدلّ على ذلك ما كتبه في الورقة الأولى من تأريخه موضع البحث، وكان شافعي المذهب على الأرجح، وتدلّ مؤلّفاته وسيرته على أنّه كان ورعاً، ومحدِّثاً، وعالماً مبجَّلاً.

كان لسعيد بن مسعود الكازرونيّ نجلان، اسم كلّ منهما محمّد، وسنوجز ترجمتيهما؛ لأهمية ذلك في ترجمة والدهما، ولكون بعض الكتّاب والنّساخ كان يخلط بينهما وبينه:

أ. عفيف الدين محمّد بن سعيد بن مسعود، أبو المحامد الشافعيّ (ت٨٠٢هـ)، أجاز له سنة ٧٤٠هـ الحفَّاظُ المزيّ والذهبيّ والعلائيّ وأبو حيّان...، توفي بنجد وهو في طريقه إلى الحج، من مؤلّفاته شرح البخاريّ الذي قال إنه استمدَّ فيه من ٣٠٠ شرح عليه [ألَّفه بشيراز سنة ٧٦٦هـ][٢]؛ وشعب الأسانيد في رواية الكتب والمسانيد[٣]. وله ايضاً تلخيص تفسير شيخه ابن كثير الذي كتب فيه أنّه لأبي المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود بن محمّد بن مسعود الكازرونيّ[٤].

ب. نسيم الدين محمّد بن سعيد بن مسعود، أبو عبد الله الشافعيّ (ت٨٠١هـ)، أجاز له المزيّ وغيره. قال التقي الفاسيّ: «سمعتُ منه شيئاً من المولد النبويّ الذي صنَّفه أبوه وكان يرويه عنه[٥]، جاور بمكة سنين كثيرة تزيد على عشر...، ثم توجه من مكة بأثر الحج إلى بلاده من سنة ٧٩٨هـ، فوصل

(١) كشف الظنون: ١٨٥١/٢، انظر أيضاً: إنباء الغمر، ابن حجر: ٨٤/٤، ذيل الدرر الكامنة: ٧٧؛ الضوء اللامع، السخاوي: ٢١/١٠؛ بغية الوعاة، السيوطي: ١١٣/١؛ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبليّ: ١٠/٧. وفي مخطوطة سيرة النبي نجد اسمه: سعيد بن محمّد بن مسعود بن محمّد ابن مسعود الكازرونيّ (انظر: فهرست ميكروفيلمها، ٧٦/٢)، والصحيح ما ذكرناه آنفاً.

(٢) كشف الظنون: ٣٩٢/١.

(٣) الضوء اللامع: ٢١/١٠ - ٢٢.

(٤) انظر: بحوث وتحقيقات، شمس الدين: ١٦٣/١، حيث قال: إنه توجد مخطوطة هذا الكتاب في مكتبة إستانبول كتبخانه عمومي.

(٥) انتهى من ترجمة أثر والده هذا في مدينة شيراز سنة ٧٦٠هـ. (انظر: أدبيات فارسي بر مبناي: ٧٧٩/١).

إليها فأدركه الأجل بلار سنة ٨٠١هـ»[١].

وإنّنا نجد اسم الأول منهما في مخطوطة تلخيصه لتفسير شيخه ابن كثير بالصورة الآتية: «أبو المحامد عفيف بن سعيد بن مسعود بن محمّد بن مسعود»، والصواب أنّه عفيف الدين محمّد بن سعيد، حيث نجده كذلك في جميع المصادر التي ترجمته باسم: «عفيف الدين محمّد».

أمّا تسمية مؤلِّفنا بـ«سعيد الدين» بدلاً من «سعيد فقط» فهو أمر شائع آنذاك في أدبيات المحافل العلمية والسياسية، ولكون الفُرس - على مدى تأريخهم الطويل- يميلون عموماً إلى تفخيم أنفسهم وتعظيمها بالألقاب، حيث نجدهم يقولون مثلاً فيمَن اسمه سعيد: «سعيد الدين»، بل ربما وجدناهم يضيفون الملَّةَ إلى اللقب، فيقولون «غياث المِلَّة والدين»، أو «أمين الملَّة والدين»، وربّما زِيد فيها فيقال في صفي الدين مثلاً «صفيّ الحقّ والملَّة والدين»[٢] وهكذا، فمن الواضح أنّ «سعيد الدين» هي «سعيد» ثم فُخِّمت بالدين.

ونجد اسمه «سعيد الدين» في ترجمته التي ساقها شمس الدين ابن الجزريّ في مشيخة الجنيد البلياني بقوله: «كان سعيد الدين محدّثاً فاضلاً، سمع الكثير، وأجاز له المزيّ وبنت الكمال وجماعة، وخرَّجَ المسلسل، وألَّف المولد النبويّ فأجاد، ومات في أواخر جمادى الآخرة سنة ٧٥٨هـ»[٣].

ترجَمَه جنيد الشيرازيّ الذي عاصره ورآه، فقال في تفاصيل ترجمة مؤلِّفنا سعيد ابن مسعود التي نحرص على أن نوردها تامةً هنا؛ لأنّ مفرداتها ستثبِّت بصورة نهائية هوية هذا العالم المؤرّخ، وتميّزه عن نجليه المحمّدين: «مولانا سعيد الدين أبو سعد محمّد بن مسعود[٤] بن محمّد بن مسعود البلياني ثم الكازروني، ويُكنّى أبا

(١) العقد الثمين، تقي الدين الفاسي: ٣٢٢/٤؛ إنباء الغمر: ٨٤/٤، ذيل الدرر الكامنة: ٧٧؛ درر العقود الفريدة، المقريزي: ١٦٨/٣؛ الضوء اللامع: ٢٢/١٠.

(٢) انظر: تجارب السلف، هندوشاه النخجواني: ٣.

(٣) الدرر الكامنة، ٤ ابن حجر العسقلاني: /٢٥٦. عن ابن الجزريّ، مشيخة الجنيد البلياني.

(٤) في ضوء المصادر المتوافرة فإن الصواب هو: سعيد الدين أبو محمّد بن مسعود.

المحمّدين[١]، سلطان الفقهاء والمحدّثين، وإمام الأئمة المهتدين، وناشر أحاديث سيّد المرسلين، ورُحْلَة طلاب الآفاق، وقدوة أهل الحديث على الإطلاق. لم أرَ أحداً بحسن سمته، وحسن خُلقه، وكمال عقله، ووفور إشفاقه ورحمته على خلقه، كان واحداً مشاراً إليه في الفقه والحديث وغيرهما، يسلك طريق السلف، ويجانب التكلُّف والصَّلَف، هشّاشاً بشّاشاً، وسَّاماً بسَّاماً.

تأدَّب أولاً بشيخ الشيوخ أمين الدين الكازرونيّ - وكان من عَصَبَتِهِ ينتهي نسبهما إلى الشيخ أبي علي الدقَّاق- ثم دخل شيراز، فسافر إلى الحجاز، وأحرمَ من الكوفة حاسراً، فحجّ بيت الله ماشياً تعظيماً لحرمته.

وليَ الأمور العظيمة فتفصَّى عن عهدتها[٢]، وسافر بلداناً كثيرة، وحصَّل الأسانيد العالية، واستجاز من مشايخ الأمصار، فراسلوه وأجازوه من كلّ الديار، منهم الشيخان الإمامان ركن الدين منصور راست گو، وظهير الدين إسماعيل ابنا الشيخ صدر الدين أبي المعالي مظفَّر، حدَّث منهما في مصنَّفاته[٣]، ثم أقام وحدَّث وأسمع وكتَب وروى في الدين كتباً معتبرة، منها:

كتاب مطالع الأنوار في شرح مشارق الأنوار.
كتاب شفاء الصدور.
كتاب المحمّدين.
كتاب المسلسلات[٤].

---

(١) يرى المقريزي (درر العقود الفريدة: ١٦٨/٣)، أنّ اسم سعد بن مسعود هو محمّد أيضاً، فيقول: «محمّد ويدعى سعيد بن مسعود بن محمّد...».

(٢) تفصَّى الإنسانُ، إذا تخلَّص من المضيق والبلية. (الصحاح، الجوهري: ٢٤٥٥/٦)

(٣) هو صدر الدين أبو المعالي المظفر بن محمّد بن المظفر بن روزبهان العمريّ العدويّ، الزاهد والعالم الجليل، صاحب المؤلّفات الجمَّة، المتوفّى سنة ٦٨٨ أو ٦٨١هـ، أمّا نجلاه فالأول ركن الدين منصور بن المظفّر المعروف براست كو (٦٤٩ - ٧٣٣هـ)، وكان من كبار المتصوفة، والثاني هو ظهير الدين إسماعيل بن المظفّر مؤلّف فضائل الصلوات، المتوفّى سنة ٧٣٠هـ (عن هؤلاء الثلاثة، انظر: شد الإزار، جنيد الشيرازي: ١٩٠ - ١٩٦، ٢٠١ - ٢٠٢؛ شيراز نامه، زركوب الشيرازي: ١٧٨ - ١٨٠؛ مجمل التواريخ، فصيح الخوافي: ٤٣/٣).

(٤) هو مجموعة من الأحاديث انتهى من تأليفه سنة ٧٤٢هـ (انظر: أدبيات فارسي بر مبناي: ٧٧٩/١).

كتاب مولود النبيّ ﷺ[١].

كتاب روضة الرائض في علم الفرائض.

كتاب جامع المناسك.

وشرع في شرح ينابيع الأحكام، فلم يُقدَّر له الاختتام، ولم يتيسر له الإتمام، إذ أتاه الحِمَام.

وكان يدرِّس في رباط الشيخ الكبير[٢] مدة سنين ببيان شافٍ، وكلام وافٍ، لم ينهَر في وجه سائل، ولم يضنّ بإعطاء كتاب على طالب، وكان ديدنه البر والتقوى، وشنشنته التمسّك بالعروة الوثقى، معظِّماً لسنن رسول الله ﷺ، محرِّضاً على إكرام أهل الفضل، يحثّ سائر المحصلة الطلاب على مراعاة الآداب، وملازمة الورع، وقلة الطمع، وحفظ اللسان عمَّا يؤدّي إلى عين إنسان.

يجتمع لديه عند إسماع المولود عدة آلاف من الصالحين، وكان حضَّار درسه في كلّ يوم أكثر من سبعين. ومهما أسمع البخاريّ عن سدَّته الشريفة يحضر المئون ممّن يكتبون، سوى مَن يَسمعون أو يُسْمِعون.

توفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبع مائة، ودُفن في صحن رِباطه الذي بناه بباب الشيخ الكبير، رحمة الله عليه...»[٣].

وترجمه حاجي خليفة فقال: «عفيف الدين سعيد محمّد بن مسعود بن محمّد ابن مسعود الكازرونيّ المتوفّى سنة ٧٥٨هـ...»، وهذا خلط بينه وبين نجله عفيف الدين، والصواب ما سيذكره حاجي خليفة، حيث يقول لدى ذكره عفيف الدين: «قرأ على والده ودرَّس بشيراز، وصنَّف شرح البخاري، والمطالع في شرح المشارق، وشرح النجم، وشفاء الصدور، والمسلسلات، والسير بالفارسية عرَّبه ولده، ذكر فيه أنّ اسمه

(١) يرى ستوري أنّه هو نفسه كتاب المنتقى في سير مولد النبيّ المصطفى (انظر: أدبيات فارسي بر مبناي: ٧٧٩/١).

(٢) هو الصوفي والواعظ الشهير الشيخ أبو عبد الله محمّد بن خفيف بن أسكفشاذ الشيرازيّ الشافعيّ (٢٧٦ - ٣٧١هـ)، له مؤلّفات عديدة في التصوف والفقه (شد الإزار: ٣٨ - ٤٦)، وهو مدفون في مدينة شيراز.

(٣) شد الإزار: ٦١ - ٦٤.

سعيد بن مسعود بن محمّد»[١]. قلتُ: هذا هو اسمه الصحيح. وفي الترجمة ما يدلّ على أنّ مؤلِّفنا سعيد بن مسعود كان يؤلّف بالفارسية أيضاً.

ملخص رواية سعيد بن مسعود الكازرونيّ عن وقائع الغزو المغولي للعراق

كانت أُم المستعصم امرأة من بنات الأحرار من البندنيجين[٢]، وكان هو نفسه رجلاً طيّب النفس، طيِّب الجِبِلَّة ومتديناً، لكنّه كان عديم الرأي، ليس له تدبير في أمور المُلْك، وكان يميل غالباً إلى اللهو وسماع الأغاني وحضور الندماء ورفاق الأُنس، وكان يذهب بين الفينة والأخرى إلى خِزانة الكتب، فيجلس فيها لكن من غير أن ينال فائدة علمية.

وكان خواصُّ المستعصم من الأراذل والعوام قد سيطروا عليه سيطرة تامة[٣].

في سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م حين توفي الخليفة العباسيّ المستنصر بالله، انبرى القائد العسكريّ إقبال الشرابيّ مع جمع من خدم الخليفة وحَشَمه إلى مبايعة نجله المستعصم بالله سراً في المساء، ثم أرسلوا في طلب أستاذ الدار، وكان يشغل هذا المنصب آنذاك مؤيد الدين ابن العَلْقَمِيّ، وقرّروا أن يدعوه إلى إقرارهم على تلك المبايعة، وأنّهم سيقتلونه فوراً إذا عارضَ رغبتهم. وكان هناك خادم يكنُّ المودَّة لابن العَلْقَمِيّ، فخرج ووقف في دهليز الدار، فلما جاء ابن العَلْقَمِيّ قال له: إنّ هؤلاء قد أخرجوا الأميرَ الكبير وبايَعوه، فإن خالفتهم فسيقتلوك، وكان ابن العَلْقَمِيّ رجلاً عاقلاً، ويعلم أنّ

---

(١) سلّم الوصول، حاجي خليفة: ٣/٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) استُقِيَتْ هذه المعلومة من الشيخ فخر الدين علي بن يوسف المعروف بابن البوقيّ، وهو مؤرِّخ بغدادي جليل من بيت الرياسة والعلم والأدب، استفاد ابن الفُوطي من كتاب له أثار إعجابه، فبالغ في الثناء عليه، وقال إنّه وجد فيه أشياء لم يجدها في غيره. توفي سنة ٧٠٧هـ (انظر: تلخيص مجمع الآداب، ٤ ابن الفُوطي: (٢)/٢٦٣، ط جواد)، وفي كلام ابن البوقي ردٌّ على مَن يقول إنّ أُمّ المستعصم كانت جارية حبشية (انظر مثلاً: المنهل الصافي، ٧ ابن تغري بردي: /١٢٦).

(٣) لا يختلف مؤلِّفنا سعيد بن مسعود عن بقية المؤرِّخين من كتّاب المدرسة البغدادية، وكذلك كتّاب المدرسة الشامية المصرية في صفات الخليفة المستعصم الدالة على ضعف شخصيته التي ذكرها آنفاً ممّا هو مشهور ومدوَّن في مؤلَّفاتهم.

المستعصم لكونه ضعيف الرأي بأنه لن يستطيع عمل شيء، وأنّه (أي ابن العَلْقَمِيّ) كان ينوي ترشيح ابنٍ آخر للمستنصر لمنصب الخلافة، عُرِفَ بالرأي السديد والتدبير[١]، لكنه أقرَّ إقبال الشرابيّ وحاشيته على ما أرادوا.

ثم إنّ المستعصم جلس على كرسيّ الخلافة، ووقف الشرابيّ وكبار الشخصيات، وجلس أستاذ الدار (ابن العَلْقَمِيّ) في المقدّمة لتدبير الأعمال، وأصدر أمراً بضرورة حفظ الأمن في المدن، وبقي إلى جانب المستعصم حتى الصباح ينجز ما يرى فيه المصلحة آنذاك، وقد أظهر منتهى الكفاية والحزم.

ولمّا أطلَّ الصباح باشروا جميعاً أخذ البيعة للمستعصم.

منذ سنة ٦٤٠ حتى سنة ٦٥٦هـ تولّى المستعصم الخلافة، وقد أمضى أوقاته بدَعَةٍ ويُسر، يقضي أغلب الأوقات منشغلاً باللهو والصيد، غافلاً عن الولاية والرعيّة، وكان مؤيد الدين ابن العَلْقَمِيّ يواصل إرسال الكتب إليه ويشير فيها بضرورة التنبّه والحذر، لكنّ المستعصم لا يزداد إلّا غفلة:

فكأنّه الطفل الرضيع بمهدِهِ يزداد نوماً كلّما حرَّكْتَهُ

ثم إنّ ابن العَلْقَمِيّ قال له بشكل صريح: إنّ جيش المغول قد سيطر على أغلب العالم، وإنّ عدده قد بلغ حداً لا يمكن لأمير المؤمنين مقاومته، وإنّ الرأي الصائب هو أن يتواضع ويلين، وأن يبذل المال والنفائس، وكلّ ما هو موجود فداءً للنفس، وليكون المسلمون في سلام[٢].

(١) واضح أنّ هذا هو السبب الذي دعاهم إلى التفكير بقتل ابن العَلْقَمِيّ إن لم يوافقهم على اختيارهم المستعصمَ للخلافة. وشقيق المستعصم هذا هو الذي عُرف في بعض المصادر باسم «الخفاجي»، وتتفق الرواية الشامية/ المصرية مع البغدادية في هذا الأمر، حيث يقول الذهبي (سير أعلام النبلاء: ١٦٧/٢٣): «وكان أخوه الخفاجي من الأبطال يقول: إنْ وُلِّيتُ لأعبرنَّ بالجيش جيحون، وأستردّ البلاد وأستأصل التتار. فلمّا مات المستنصر زَوَاه عن الخلافة الدّويدار والشرابيّ؛ خوفاً من بأسه».

(٢) نقرأ في كتاب الحوادث: ٣٥٠: «كان الخليفةُ (المستعصم) قد أهمل حال الجند، ومَنَعَهم أرزاقهم وأسقطَ أكثرَهم من دساتير ديوان العرض، فآلت أحوالهم إلى سؤالِ الناسِ، وبذْلِ

ومهما كرّر الوزير المسكين مثل هذا الكلام فإنّ المستعصم لم يكن يستمع إليه، وكان ملازموه وخواصه يقولون له: إنّ الوزير يخوّفك لكي يفرغ خزائنك من الأموال، ويذهب بجميع ما لديك، ويسلِّط عليك المغول حتى تبلغ الأمور حداً أن تظلّ معها مكروهاً ممقوتاً من الجميع، ولم يعلم المساكين أنّ الخليفة إن لم يسمع كلام الوزير فسيحدث هذا الذي يقولونه.

ومهما يكن فقد حرَّضوا الخليفة على الوزير بحيث لم يكن يلتفت إلى كلامه.

وعندما قرّر هولاكو اقتحام بلاد الملاحدة[١] بغيةَ استئصالهم، أرسل رسولاً إلى الخليفة يطلب إليه إعلان الطاعة له، وأن يبادر إلى إمداده بالجيش.

وحين استشار المستعصم وزيره ونوَّابه الذين كانوا جمعاً من رجالات السياسة، قال جمعُ الأمراء العسكريين: إنَّ هولاكو يريد بهذه الخطوة إفراغ بغداد والبلاد من الجيش؛ لكي يتمكّن من الاستيلاء عليها ساعةَ يشاء من غير مشقَّة.

ولمّا فرغ هولاكو من الاستيلاء على قلاع الإسماعيلية أرسل إلى المستعصم رسالة من همذان متوعداً؛ لأنّه لم يُرسل إليه جيشاً.

استشار الخليفةُ وزيرَه فيما يصنع، فقال الوزير: ينبغي أن نرسل إليه الأموال الجمّة والجواهر والمرصَّعات والأقداح الفاخرة والغلمان والجواري والبغال مع تقديم اعتذار، فوافق الخليفة على ذلك، وأمر أن يُعَدَّ كلّ ذلك.

فقال الدُّويدار الصغير[٢] وبقية رجال الدولة: إنّ الوزير إنما أشار بهذا الرأي بغية أن يرتِّب أموره، ويسلّمنا نحن الجنود والأتراك إلى هولاكو ليقضي علينا، وعليه فسنقوم بإلقاء القبض على الرُّسُل حَمَلَةِ الأموال والهدايا، ونستولي عليها، ونُذيقهم العذاب.

حين سمع الخليفة ذلك التهديد أوقف عملية إرسال الرسل والأموال، واكتفى

وجوهِهم في الطلبِ في الأسواقِ والجوامعِ، ونَظَمَ الشعراءُ في ذلك الأشعارَ».

(١) هي القلاع التي كان الإسماعيلية يتحصنون ويعيشون فيها في إيران، وقد دأب كثير من المؤرِّخين على تسميتهم بالملاحدة نكاية بهم.

(٢) في جميع ثنايا ما كتبه سعيد الكازرونيّ فقد ورد اسمه بصورة: الدواة دار، فكتبنا اسمه بالصورة التي عُرف بها في المصادر المشهورة.

بإرسال قليل من الهدايا إلى هولاكو.

واستشاط هولاكو غضباً على الخليفة، وطلبَ إليه أن يأتي إليه بنفسه أو يرسل واحداً من ثلاثة: الوزير أو الدُّويدار الصغير أو سليمان شاه[١]، فلم يفعل الخليفة أيًّا من الأمرين واعتذر عن ذلك.

فغضب هولاكو وقرَّر الاندفاع نحو بغداد.

ثم تردَّد المبعوثون بين الاثنين لكن من غير جدوى، إذ أرسل الخليفة مرةً ابن الجوزيّ نجل محيي الدين[٢]، فلم يحصل نفع من ذهابه.

في شوال سنة ٦٥٥هـ تحرك هولاكو بجيشه باتجاه بغداد، وتقدّم الدُّويدار مع الجيش من بغداد ورابط في موضع بين بعقوبة وباجسرى[٣]. وفي الطريق إلى بغداد ألقى جيش هولاكو القبض على أيبك الحلبيّ طليعة الجيش العباسيّ، وجيء به إلى هولاكو الذي منحه الأمان إنْ هو أفضى إليه بما لديه من معلومات، فوافق هذا وأصبح في جيش المغول.

اندلع القتال بين الجيش المغولي بقيادة بايجو نويان والجيش العباسيّ بقيادة الدُّويدار الصغير، فأنزل بايجو نويان الهزيمةَ بالدُّويدار الصغير، إذ قُتِلَ كثير من الخلق، ووصل المنهزمون إلى بغداد.

في منتصف شهر محرم سنة ٦٥٦هـ نزل هولاكو على باب بغداد ونصب المجانيق واستعدَّ للحرب، فأرسل الخليفة مبعوثيه إليه، وهما: صاحب الديوان(فخر الدين ابن الدامغانيّ الحنفيّ)، وابن الدرنوس [مع هدايا قليلة]، قائلَيْن: إنهم إذا أرسلوا هدايا وفيرة فسيقول (هولاكو ومَن معه): إنهم خائفون.

---

(١) كان سليمان شاه من كبار القادة العسكريين من قبيلة الأيوائية التركمانية، وكان يأتي بالدرجة الثانية بعد الدّويدار الصغير من حيث التراتبية في قيادة الجيش العباسي.

(٢) هو شرف الدين عبد الله بن يوسف ابن الجوزيّ الحنبليّ، أحد كبار شخصيات بلاط الخليفة المستعصم، ممّن كان يَعتمد عليهم في سفاراته.

(٣) قرية من قرى بعقوبة مجاورة لمدينة شهربان الحالية (انظر: نزهة القلوب، حمد الله المستوفي: ٤٣).

سأل هولاكو الرُّسل: لماذا لم يأتِ سليمان شاه والدُّويدار الصغير؟ فأجاب الخليفة: لقد طلب الملك [هولاكو] أن أرسل واحداً من ثلاثة: الوزير أو الدُّويدار أو سليمان شاه، وها أنا ألبِّي طلبه، فأرسلتُ إليه الوزير الذي هو الأكبر من بين هؤلاء، فعلى الملك أن يفي بوعده.

أجاب هولاكو: لقد طلبتُ ذلك حينما كنتُ في همذان، والآن فقد وصلتُ إلى بغداد، فكيف أقنع بواحد؟ ينبغي لكَ أن ترسل الثلاثة.

حمي وطيس القتال منذ الثاني والعشرين من المحرم سنة ٦٥٦هـ لمدة ستة أيام بلياليها، ثم إنّ الملك أمر بأن يُكتَب في ستة منشورات أنَّ السادات[١] والعلماء والأزليين والمشايخ وأولئك الذين لا يقاتلوننا هم جميعاً في أمان منا؛ وربطوا تلك المنشورات في سهام ورَموها نحو المدينة (بغداد) من أطرافها الستة[٢].

احتدم القتال ليلَ نهارَ حتى اليوم الثامن والعشرين من المحرم، حيث تمكّن الجيش المغولي قبل شروق الشمس من تسلّق السور من جانب برج العجمي[٣]،

---

(١) تعني هذه الكلمة السادات العلويين، وهي إحدى المواد المذكورة في قانون الياسا الذي كتبه جنكيز خان وصار قانوناً للمغول يطبقونه بصرامة، حيث نقرأ هذه المادة فيه: «وشرط أن لا يكون على أحد من ولد عليّ بن أبي طالب مؤونة ولا كُلْفة، وأن لا يكون على أحد من الفقراء ولا القرّاء ولا الفقهاء ولا الأطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم وأصحاب العبادة والزهد والمؤذّنين ومغسلي الأموات كُلْفة ولا مؤونة» (المواعظ والاعتبار: ٢٢٠/٢. الكلفة: المشقَّة، ووردت نصوص الياسا أيضاً في صبح الأعشى: ٣١٤/٤ - ٣١٥؛ وتاج العروس: (مادة يساق، استناداً إلى طبعتيه اللتين حققهما مصطفى حجازي وعلي شيري)، لكن لم ترد فيه الفقرة الخاصة بأولاد علي بن أبي طالب عليه السلام ولا الفقرة الخاصة بالفقهاء والمؤذنين...إلى آخره. وقد اعتمد المقريزي نسخة من الياسا وُجِدت بخِزانة المدرسة المستنصرية ببغداد.

(٢) أراد بهذا أنّ المنشورات رُميت على جميع أرجاء بغداد. يقول الإيجي (المواقف: ١/ ٦٠٧): «إنّ الجهات الست أخذها العامةُ من جهات الإنسان الست التي هي القُدَّام والخلف واليمين والشمال والفَوق والتحت». والمقصود أنّهم لم يتركوا مكاناً إلّا ألقوا فيه تلك المنشورات.

(٣) في الأصل: برج العجم، فصوَّبناه. قال العلَّامة الدكتور مصطفى جواد عن هذا البرج: «منسوب إلى الشيخ الزاهد الفقيه الواعظ محي الدين عبد القادر الجيليّ المعروف بالكيلانيّ، وكان يُعرف عند أهل بغداد بالعجميّ؛ لأنه قدم من جيلان وهي بلاد عجمية» (تعاليقه على

وطردوا الناس من جانبي السور[١] وإلى أن حان وقت صلاة الظهر استطاع المغول أن ينتزعوا جميع الأسوار من البغاددة.

وحين اشتدَّ القتال أراد الدُّويدار الصغير أن يهرب بالسفينة منحدراً إلى أسفل النهر، فبلغ الخبر مسامع المغول، فوجَّهوا عليه المنجنيق والسهام، فانكفأ راجعاً بعد أن استولى المغول على ثلاث سفن من سفنه، وقتلوا الناس الذين كانوا فيها، وغنموا أسلحتهم، وقُتِلَ نقيب العلويين الذي كان في إحدى تلك السفن.

لمّا سيطر المغول على السور، أمر الملك أن يخرج إليه الدُّويدار وسليمان شاه، فإن شاء الخليفة فليرسل معهما نجله الأوسط.

لكنّ الدُّويدار الصغير عندما قرّر المجيء عاد [من منتصف الطريق] قائلاً لسليمان شاه: إنّ كثيراً من الجنود مرتبطون بنا، وسأرسلهم إلى المدينة ليُخرجوا الناس منها[٢].

ثم إنّ أهل المدينة أرسلوا شرف الدين المراغيّ، وشهاب الدين الزنجانيّ؛ ليطلبوا [من هولاكو] الأمان.

كان الأمر قد بلغ أجله.

ولمّا رأى الخليفة أنْ قد قُضِيَ الأمر، طلب الإذن [من هولاكو] بالخروج من المدينة،

مختصر التأريخ لابن الكازرونيّ: ٢٧٢)؛ ونقل الشطنوفي في بهجة الأسرار (الورقة ١٧٥أ) قولَ الشيخ الكيلانيّ عن نفسه: «أقمتُ في البرج المسمَّى ببرج العجميّ إحدى عشرة سنة، وبطول إقامتي فيه سُمِّي برج العجميّ». وكان يقع قرب باب الحلبة المعروف بباب الطلسم. أمّا قوله إنّه قرب باب كلواذى (الباب الشرقي حالياً) فهذا لَمَن هو قادم من الباب الشرقي باتجاه باب الشيخ أو العكس.

(١) قوله «أن يطردوا الناس» دالٌّ على أنّ الذين كانوا يقاومون على أسوار المدينة هم من المدنيين الذين يبدو أنّهم شكّلوا مجاميع للمقاومة الشعبية، ذلك أنّ الجيش العباسي قد هُزم في ٩ محرم ٦٥٦هـ وأمّا مَن بقي منه فقد فرَّ إلى بلاد الحلة والكوفة أو إلى بلاد الشام.

(٢) استناداً إلى الرواية البغدادية فإنّ الدُّويدار الصغير أرسل جنوده ليخرجوا مَن بقي يقاتل من الناس والجنود، ثم ذهب بهم معه إلى هولاكو، وكان تصرّفاً ساذجاً منه، إذ أمسكهم الجنود المغول وذبحوهم جميعاً وكانوا ألوفاً، كما ذبحوا الدُّويدار وكذلك القائد سليمان شاه ومَن معه من أقاربه وقوات الحماية الخاصة به.

ثم غادرها في اليوم الرابع من صفر وذهب مع نجله للقاء الملك، وقد نظمَ شاعرٌ هذا التأريخ بقوله[١]:

عندما حلَّ من التأريخ يومُ الأحدِ الرابعِ من شهرِ صفرْ
وتصرَّمْن مِنَ الدَّهر المئون الستّ مع ستٍ وخمسين سنه
ومضى المستعصمُ الهاوي حثيثاً نحو هولاكو على حدِّ الخطرْ
طُوِيَتْ دولةُ حكَّامِ بني العباس في طيِّ سجلِّ الأزمنه[٢]

وقام المغول بإنزال مَن كان مع الخليفة مِن خواصّه مِن الأئمة والسادات والمشايخ بباب كلواذى[٣].

بعد ذلك أمر [هولاكو] بنهب المدينة، أمّا هو فقد ذهب لمشاهدة قصر الخليفة إذ تفقَّده بأسره، ثم أحضر الخليفة بين يديه وأمره بجلب الهدايا، فجاء بها فوزّعها الملك فوراً على خواصّه وأمراء الجيش والحاضرين، ووضع طبقاً من الذهب بين يدي الخليفة، وقال له: كُلْ. فقال الخليفة: هذا لا يمكن أكلُه. قال: فَلِمَ اكتنزته ولَمْ تنفقه على الجيش؟ ولِمَ لَمْ تصنع من أبواب الحديد هذه نِصالاً، وتأتي إلى ساحل نهر

(١) هذان البيتان موجودان في واحدة من مخطوطات الرسالة المنسوبة إلى نصير الدين الطوسيّ الملحقة بآخر كتاب تاريخ جهانكشاي (انظر: تاريخ جهانكشاي: ٧٨٨/٣، هامش العلّامة قزويني). وقد أوردهما فصيح الخوافي (مجمل التواريخ: ٣٢٥/٢) على أنّهما لنصير الدين الطوسيّ؛ وذكرهما الآقسرائي (مسامرة الأخبار: ٤٩) بلا عزو إلى أحد.

(٢) الشعر بسيط قُصد به تأريخ الحادثة شعراً. والبيتان بالفارسية من بحر الرَّمَل:

سال هجرت ششصد وبنجاه وشش — روز يكشنبه چهارم أزْ صَفَرْ
چون خليفه نزد هولاكو رسيد — دولتِ عبَّاسيان آمدْ بِسَرْ

وترجمناهما إلى العربية ببحر الرمل أيضاً. وأضفنا «الهاوي» للبيت الثاني ليستقيم الوزن، ونعني بذلك الهاوي من عرشه.

(٣) كان الخليفة في حالة هلع، فجاء معه بجمع من الفقهاء والعلماء والسادات العلويين (كما تقول الرواية البغدادية) - ربّما ليقوي فؤاده أو ليظهر بمظهر المهاب المقتدر - لكن المغول عزلوه عمّن كان معه، ثم أخذوهم وذبحوهم بأسرهم.

جيحون لتمنعني من عبور الماء؟

قال الخليفة: كان هذا ما قدَّره الله.

قال الملك: إنّ ما سيجري عليك هو أيضاً من تقدير الله.

وفي المساء عاد هولاكو أدراجه.

ثم أمر الخليفةَ أن يُخْرِج النساءَ اللواتي ضاجَعَهُنَّ هو وأبناؤه، فذهبوا إلى قصر الخليفة فوجدوا هناك ٧٠٠ امرأة و ١٣٠٠ خادم، [فأخذوهنَّ] وفُرِّق الباقون.

عندما انتهى المغول من نهب المدينة الذي استمر ٧ أيام، منحوا أهل المدينة الأمان وجَمَعوا الغنائم.

في الرابع عشر من شهر صفر رحل هولاكو عن بغداد، ثم طلب أن يؤتى بالخليفة، فجيء به وجيء عقبه بنجله الأوسط مع خمسة أو ستة من الخدم، وفي ذلك اليوم وفي تلك القرية[١] قُضِيَ عليه وعلى نجله الأوسط.

في اليوم التالي قُتِلَ نجلُه الأكبر مع مَن كان معه في باب كلواذى[٢]، ثم إنّ المغول فرَّقوا النساء والخدم.

وفي اليوم الذي تلاه غادر الملك المكان وأرسل الوزير [ابن العَلْقَمِيّ] وابن الدرنوس[٣] إلى بغداد، إذ عَيَّنَ الوزيرَ بمنصب وزير، وصاحبَ الديوان صاحباً للديوان، وأوكل إلى ابن الدرنوس مَهمة الأوزان، بينما عيَّن أستو بهادر شحنةً[٤]، وأمرهم جميعاً أن يعمِّروا بغداد، وأن يرفعوا جثث الحيوانات النافقة.

فعُمِّرت الأسواق وعاد الملكُ مظفّراً منصوراً إلى سياه كوه بعد أن عيَّن بوغا تيمور حاكماً على الحلة وواسط. وكان أهل الحلة قد أعلنوا طاعتهم قبل ذلك، وذهب بوغا

(١) لم يذكر المؤلّف اسم القرية، وهي مذكورة في مصادر أُخَر باسم قرية الوقف.

(٢) في الأصل: كلواد.

(٣) في الأصل: ابن الدربوس.

(٤) هو القائد المغولي المعروف علي بهادر نفسه، وكان هو الحاكم الفعلي للعراق، ومنصب الشِّحنة يعادل اليوم منصب مدير الشرطة أو مَن يُوكل إليه الأمن في البلد.

تيمور إليهم وامتحنهم[١]، ومن هناك ذهب إلى واسط، حيث واصلَ مدة أسبوع القتلَ والنهب، وعاد أدراجه.

ثم إنّ بوغا تيمور ذهب إلى تستر وأخذ معه شرف الدين ابن الجوزيّ لإدخال المدينة في الطاعة. أمّا الجنود الأتراك فقد هرب بعضهم وقُتل آخرون، بينما دخل بعضهم في الطاعة.

ولم يذهب جيش إلى الكوفة والبصرة، ودَخَلَتا في الطاعة.

وانطفَأَ مصباحُ دولة العباسيين، والسلام.

مصادر رواية سعيد بن مسعود الكازرونيّ

كتب نيكپي (أو سعيد الدين الكازرونيّ كما ارتأينا) تأريخه هذا بالفارسية في أخريات سنيْ حياته التي انتهت سنة ٧٥٨هـ، يدلّنا على ذلك أنه تكلّم في أول الكتاب بمرارة عن بلوغه سنّ الشيخوخة[٢]. وقد تعدّدت مصادره فاقتبس ممّن سبقوه من المؤرِّخين البعيدين زمنياً كالطبريّ، والعُتبيّ، أو القريبين. وسنتناول مصادر اقتباساته الخاصة بالغزو المغولي للعراق؛ لكونها مدار بحثنا.

المصدر الأول: إنّ أول ما يلفت نظرنا هو التطابق التام بين نصوصه وبين ما كُتب في (تجارب السلف) الذي ألّفه هندوشاه بن سنجر بن عبد الله الجيرانيّ النخجوانيّ[٣]

---

(١) بعد أن هربت الحامية العسكرية التركية المكلَّفة بحماية مدينة الحلة منها عَقِبَ هزيمة الجيش العباسي في معركة المزرفة (في ٩ محرم سنة ٦٥٦هـ) كان وفد من أهل الحلة قد ذهب للقاء هولاكو، وتعهد بدفع مبالغ هائلة له على أن لا تجتاح القوات المغولية مدينتهم، فوافق هولاكو وأرسل معهم إلى المدينة قائدين عسكريين ليتعرَّفوا حقيقة ما يدَّعونه، فوفدا على المدينة وعادا إلى هولاكو، فأخبراه بحقيقة الموقف. وقد جمع أهل الحلة المبلغ المطلوب ودفعوه لهولاكو الذي لم يتعرَّض لمدينة الحلة والمدن المجاورة لها مثل الكوفة والنجف وكربلاء، وكانت هذه المدن الثلاث مع الحلة تشكّل وحدة إدارية واحدة في ذلك العهد.

(٢) تأريخ: الورقة ١٣ب.

(٣) هكذا ورد اسمه بخطّه على بعض الكتب التي استنسخها (انظر: فهرست ميكروفيلماي كتابخانه مركزي دانشكاه تهران، أفشار: ١/١٧٠/ ٢٨٣، ٤٢٢). وقد كتب في إحداها «الجيراني» بصورة «الكيراني».

بعد سنة ٧١٤ أو بعد ٧٢٤هـ بقليل[١]، وتجارب السلف هذا هو ترجمة فارسية لكتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطِّقْطَقَى الذي انتهى من تأليفه في ٥شوال ٧٠١هـ، إلَّا أنه زاد فيه زيادات مُهمة في كثير من المواضع إذ قال عن ترجمته هذه: إنّ فيها «كلّ ما هو موجود في ذلك الكتاب (أي الفخري)، مع الزوائد الملتقطة من غيره»[٢].

وساعدنا على معرفة ذلك التطابق أنّ كلا النصّين مكتوب بالفارسية.

لا يفوتنا التنبيه على أنّ صاحب تجارب السلف قد اعتمد رواية بغدادية خالصة في سرد وقائع الغزو المغولي للعراق، إذ نجده ينقل من تأريخ شيخ مؤرِّخي هذه الحقبة علي بن أنجب المعروف بابن الساعيّ الشافعيّ الذي عاصر أهوال دخول المغول إلى بغداد سنة ٦٥٦هـ، كما عاش في ظلّ الحكم الذي أقامه المغول في العراق بقيادة جمع من كبار موظفي بلاط الخليفة المغدور المستعصم بالله، إذ كتب تأريخه الذي ابتدأ حوادثه من حيث انتهى ابن الأثير في الكامل (حوادث سنة ٦٢٩هـ)، ومضى به إلى نهاية حوادث سنة ٦٥٦هـ، وعلى قول حاجي خليفة فإنّه يقع في خمسة مجلدات[٣]، لكنه أورده في موضع آخر بقوله: تأريخ ابن الساعي الذي عنوانه (الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير)، تأريخ كبير في نحو خمسة وعشرين مجلداً، بلغ فيه إلى آخر سنة ٦٥٦هـ[٤]. وقال في موضع آخر: «تأريخ ابن الساعي، وهو تأريخ كبير يزيد على ثلاثين مجلداً»[٥]. ومن اليقين أنّ ابن الساعي ظلّ يكتب في تواريخه لمدة تجاوزت سنة ٦٥٦هـ، فالرجل كان ذا قلم غزير الإنتاج، وقد امتدَّ به العمر لأكثر من ١٨ سنة

(١) استناداً إلى المخطوطة التي اعتمدها عباس إقبال فإنّ المؤلّف يقول: «الآن في شهر محرم سنة ٧٢٤هـ» (ص ٣٠١)، لكن استناداً إلى المخطوطة التي نشر صورتها أمير روضاتي نجد «الآن في شهر محرم سنة ٧١٤هـ» (ص ٢٦٧). وقد أهدى هندوشاه كتابه هذا إلى أحد أتابكة لورستان الملك نصرة الدين أحمد بن أفراسياب الذي حكم في السنوات من ٦٩٥ - ٧٣٠هـ (انظر، تاريخ مغول، إقبال: ٤٤٧).

(٢) تجارب السلف: ٣.

(٣) انظر: كشف الظنون: ١٣٨٠/٢.

(٤) انظر: كشف الظنون: ٥٧٣/١. وقد عُثر على الجزء التاسع منه (تضمن حوادث السنوات ٥٩٥ - ٦٠٦هـ)، فحقّقه العلّامة الدكتور مصطفى جواد وصدر في بغداد سنة ١٩٣٤م.

(٥) كشف الظنون: ٢٧٩/١.

بعد سنة ٦٥٦هـ، فلا يُعقل أنّه لم يكتب شيئاً خلال تلك المدة.

ومن المهم الإشارة إلى أنّ جميع مخطوطات كتاب تجارب السلف حدث فيها سقط خلال الكلام على اجتياز القائد المغولي بايجو نويان مدينة تكريت في أواخر سنة ٦٥٥هـ، إذ نقرأ: «وعندها أصدر (هولاكو) أمره إلى بايجو نوين مع ثلاثين ألف فارس بصفتهم طليعة الجيش ليجتاز من تكريت ويصل إلى الجانب الغربي من بغداد، وجيشُه»، فهنا يوجد فراغ إذ يتوقف الكلام عند كلمة «وجيشُه»؛ لنفاجأ بعده بنصّ رسالة بالعربية لا علاقة لها بالوقائع الحربية التي نعلم أنّها حدثت عقب استقرار جيش بايجو نويان في الجانب الغربي (الكرخ)[1]. وهذا يعني أنّ الأصل الذي نُقلت منه جميع مخطوطات الكتاب وُجِد ناقصاً؛ لضياع تلك الأسطر أو الأوراق، أو أنّ أحداً تعمَّد اقتطاع هذا الجزء منه لسببٍ لا نعرفه.

المصدر الثاني الذي اعتمده سعيد الكازرونيّ بشأن خلافة المستعصم بالله والغزو المغوليّ للعراق هو: الرسالة المنسوبة إلى الفيلسوف والعالم الشهير نصير الدين الطوسيّ الإماميّ (ت ٦٧٢هـ)، إذ توقف عن النقل من هندوشاه النخجوانيّ، ثم انبرى للنقل من هذه الرسالة. وهي الرسالة التي عُرِفت برسالة «كيفية واقعة بغداد»، ذُكر في عنوانها أنّ كاتبها هو نصير الدين الطوسيّ، وقد وُجدت ملحقة في آخر بعض مخطوطات تاريخ جهانكشاي لحاكم العراق المغوليّ عطا ملك الجوينيّ (ت٦٨١هـ)، حتى إنّ الباحث الإيراني العلّامة محمّداً قزويني ذكر أنّه من بين الاثنتي عشرة مخطوطة التي اعتمد عليها من مخطوطات كتاب تاريخ جهانكشاي ثلاث منها فقط ذُيِّلت في آخرها بهذه الرسالة، هذا فضلاً عن أنّ البروفسور إدوارد براون اكتفى بالقول بشأنها: «لعلَّها إضافة مؤلِّفٍ متأخِّر»؛ ولذا التزمنا جانب الحيطة وقلنا إنّها الرسالة المنسوبة إلى نصير الدين الطوسيّ، وأخبارها تنتمي بشكل جازم إلى الرواية الأصيلة للمدرسة البغدادية.

المصدر الثالث: جامع التواريخ للوزير والطبيب والمؤرِّخ المغولي رشيد الدين فضل

(١) انظر: ٣٥٧ من طبعة عباس إقبال التي اعتمد فيها ثلاث نسخ خطية من تجارب السلف (كُتبت الأولى سنة ١٢٧٧هـ، والثانية سنة ١٢٨٠هـ، والثالثة سنة ١٢٩٨هـ)، وكذلك الورقة ٣٢٠ من المخطوطة المكتوبة سنة ٨٤٦هـ..

الله بن أبي الخير الهمذانيّ الشافعيّ (ت٧١٨هـ). وهو الكتاب الذي فصَّل وقائع الغزو المغولي للعراق بما لم يذكره أحد غيره، وقد ثبت لنا بعد الفحص الدقيق لنصوصه أنّه اعتمد أيضاً الرواية البغدادية الأصيلة للوقائع، وقد ذكر نيكپي (سعيد الكازرونيّ) في تأريخه هذا الكتاب لمناسبة ذكره أولاد جنكيز خان و أحفاده، فقال بعد أن ذكر بعضاً منهم: «ولو أنَّ أحداً أراد أن يورد ذكر كلّ واحد منهم وعدد أفراد جيشه بشكل قائم بذاته لطال الكلام بحيث لا يمكن لمجلد هذا الكتاب أن يتسع لهم، ومَن رغب في مطالعة ذلك فإنّ الصاحب السعيد الطبيب رشيد الدين قد ألَّف في ذلك كتاباً باسم غازان خان»[١].

ويدلّ هذا الكلام على أنّ تأريخ سعيد الكازرونيّ هو في مجلد واحد فقط، كما أنّه يدلّ على الشهرة التي حظي بها كتاب رشيد الدين بهذه السرعة، إذ من المعلوم أنّه بدأ بتأليفه سنة ٧٠٢هـ، وانتهى منه في ٧٠٥هـ، وقدَّمه للملك المغولي أولجايتو سنة ٧٠٦هـ[٢]، وفي سنة ٧١٨هـ قُتِلَ بسبب مؤامرة دنيئة حِيكت ضدّه، ومؤلّفنا الكازرونيّ ألَّف كتابه في أخريات عمره الذي انتهى سنة ٧٥٨هـ، إذ كان يشكو فيه من بلوغه سنّ الشيخوخة ممّا نقلناه آنفاً، وتدلّ المقاطع الأخيرة من كتاب سعيد الكازرونيّ على أنّه استفاد من جامع التواريخ في الوقائع الخاصة بالغزو المغولي للعراق وغير ذلك[٣].

فيما يتعلق باقتباس الكازرونيّ من الرسالة التي قلنا إنّها منسوبة إلى نصير الدين الطوسيّ، فقد نصَّ على أنّه نقل منها، لكنه لم يذكر أنّه اقتبس من كتاب تجارب السلف، ولا من جامع التواريخ على الرغم من أنّه اقتبس منهما يقيناً وقد أشرنا إلى شيء منه آنفاً.

---

(١) تأريخ: الورقة ٦٠٩أ.

(٢) انظر: مؤرِّخ المغول الكبير، الصياد: ٢٤٧ - ٢٥٠.

(٣) انظر: جامع التواريخ (تأريخ مغول)، رشيد الدين: ٦٨٤/٢ - ٧١٦، الأخبار الخاصة بارتقاء منكو قاآن العرش وتكليف شقيقه هولاكو بقيادة حملة لغزو إيران والعراق والشام ومصر، واستيلاء هولاكو على بغداد ثم مغادرته العراق.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية

١. المخطوطة

١. بهجة الأسرار ومعدن الأنوار: الشَّطَنُوفيّ، علي بن يوسف بن حريز اللخميّ الشافعيّ (ت٧١٣هـ)، مخطوطة المكتبة الأزهرية، الرقم ٩٨٠١٥٢/٨٠٧١.

٢. تأريخ: نيكبي (سعيد بن مسعود الكازرونيّ)، مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، الرقم بلوشيه (Blochet، ١/ ٢٥٣).

٣. تجارب السلف: هندوشاه النخجواني، ابن سنجر بن عبد الله الصاحبيّ الجيرانيّ (كان ما زال يُدَوِّن كتابه هذا سنة ٧٢٤هـ) نشر مخطوطته المكتوبة سنة ٨٤٦هـ أمير روضاتي في سلسلة نفائس مخطوطات أصفهان سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

٤. تجزية الأمصار وتزجية الأعصار: وصَّاف الحضرة، عبد الله بن فضل الشيرازيّ (ت٧٣٠هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، طهران، الرقم ١١٨ط.

٥. تحفة الفقير لصاحب السرير: الإيجي، محمّد بن إبراهيم (ت بعد ٨٤٠هـ)، نسخة محفوظة بمكتبة أثر خانه والده خديجة ملكانه في تركيا تحت الرقم ٢٣١.

٦. روض المناظر في علم الأوائل والأواخر: ابن الشحنة الحلبيّ، محب الدين محمّد بن محمّد بن محمود الحنفيّ (ت٨١٥هـ)، مخطوطة مكتبة مجلس سنا، طهران، الرقم ١٦٤٧.

٧. عقود الجمان في تذييل وَفَيات الأعيان: الزركشي، محمّد بن بهادر بن عبد الله الشافعيّ (ت٧٩٤هـ)، مخطوطة المكتبة السليمانية بإستانبول، الرقم ٤٤٣٤.

٨. المواسعة والمضايقة، رضي الدين ابن طاوس، علي بن موسى بن جعفر العلويّ الإماميّ (ت٦٦٤هـ)، مخطوطة مكتبة الإمام الحكيم العامة، النجف الأشرف، الرقم ٣/٢٣١.

٢. المطبوعة

٩. أحداث التأريخ الإسلامي: الترمانينيّ، الدكتور عبد السلام، دار طلاس، دمشق، (د.ط)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٠. إعادة كتابة التأريخ، الغزو المغولي للعراق أنموذجاً: يوسف الهادي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، وكانت طبعته الأولى قد صدرت عن دار الوسط في لندن سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م تحت عنوان إعادة كتابة التأريخ، إسقاط الخلافة العباسية أنموذجاً.

١١. الأعلام: الزِّرِكْليّ، خير الدين بن محمود بن محمّد (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٠م.

١٢. إنباء الغمر بأبناء العمر: ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن علي الشافعيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد عبد المعين خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، طبعة مصورة على طبعة حيدر آباد الدكن.

١٣. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون: ابن أبي عُذَيبة، أحمد بن محمّد بن عمر المقدسيّ الشافعيّ (ت٨٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان ذنون الثامري والدكتور محمّد عبد الله القدحات، دار وَرْد، عَمّان،(د.ط)، ٢٠٠٠م.

١٤. بحوث وتحقيقات العلّامة عبد العزيز الميمني: شمس الدين، محمّد عُزَيْر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،(د.ط)، ١٩٩٥م.

١٥. البداية والنهاية: ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشيّ الدمشقيّ الشافعيّ (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد الخضيريّ الشافعيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،(د.ط)، ١٩٦٤-١٩٦٥م.

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيديّ، محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الملقب بالشريف مرتضى الحسينيّ الواسطيّ العراقيّ الأصل الحنفيّ (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، وزارة الإعلام، الكويت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. واستندنا أيضاً إلى الطبعة التي حقّقها الأستاذ علي شيري وصدرت عن دار الفكر، بيروت،(د.ط)، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٨. تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧م.

١٩. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبيّ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الدمشقيّ الشافعيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٠. تأريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه(اختيار الذهبي): ابن الجزريّ، شمس الدين محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشيّ الدمشقيّ (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: خضير عباس محمّد خليفة المنشداويّ، دار الكتاب العربي، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢١. تأريخ الزمان: ابن العبري، جمال الدين غريغوريوس بن أهرون الملطيّ (ت٦٨٥هـ)، ترجمة: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٦م.

٢٢. تأريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر: قرطاي العِزّي الخَزِنْدار (توفي بعد سنة ٧٠٨هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت،(د.ط)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٣. تأريخ مختصر الدول: ابن العبري، جمال الدين غريغوريوس بن أهرون الملطيّ (ت٦٨٥هـ)،

تحقيق: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٤. التأريخ المنصوريّ، الكشف والبيان في حوادث الزمان: ابن نظيف الحمويّ، محمّد بن علي ابن غازي الحنفيّ الملقَّب بالأصيل (ت ٦٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور أبو العيد دودو، مجمع اللغة العربية، دمشق،(د.ط)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٥. تتمة المختصر المعروف بتأريخ ابن الوردي: ابن الورديّ، عمر بن مظفر بن عمر الشافعيّ (ت٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ط)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٦. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنُّوَّاب: الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشافعيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، وزارة الثقافة، دمشق،(د.ط)، ١٩٩٢م.

٢٧. تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: بارتولد، فاسيلي فلاديمير بارتولد (ت١٩٣٠م)، ترجمة: الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم، (د.د)، الكويت،(د.ط)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٨. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: ابن الفُوَطيّ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمّد الشَّيباني الحنبليّ (ت٧٢٣هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٢ - ١٩٦٧م. كما استندنا إلى الطبعة التي حقّقها محمّد الكاظم، وأصدرها في طهران سنة ١٤١٧هـ.

٢٩. التكملة لوفيات النَّقَلَة: المنذريّ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله الشافعيّ (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٣٠. جواد، العلَّامة الدكتور مصطفى البغداديّ(ت١٩٦٩م)، تعاليقه على مختصر التأريخ لابن الكازرونيّ.

٣١. الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين: ابن دقماق، إبراهيم بن محمّد بن أيدمر العلائيّ الحنفي (ت٨٠٩هـ)، تحقيق: محمّد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٢. الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: القزّاز، الدكتور محمّد صالح داود، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٣٣. خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك: سِبْط ابن قنينو الإربلّي، بدر الدين عبد الرحمن ابن إبراهيم (ت٧١٧هـ)، مطبعة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس، بيروت،(د.ط)، ١٨٨٥م.

٣٤. الخميس في أحوال أنفس نفيس: الدياربكري، الحسين بن محمّد المالكيّ (ت٩٦٦هـ)، المطبعة العثمانية، القاهرة،(د.ط)، ١٣٠٢هـ.

٣٥. درر العقود الفريدة: المقريزيّ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الشافعيّ (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،(د.ط)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٦. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن علي الشافعيّ (ت٨٥٢هـ)،

تحقيق: محمّد عبد المعين خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن،(د.ط)، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٣٧. الذهب المسبوك في ذكر مَن حجَّ من الخلفاء: المقريزيّ، تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الشافعيّ (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيّال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د.ط)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٨. ذيل الدرر الكامنة: ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن علي الشافعيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيق الدكتور: عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٩. ذيل مرآة الزمان: اليونيني، قطب الدين موسى بن محمّد بن أحمد البعلبكيّ الحنبليّ (ت٧٢٦هـ)، حيدر آباد الدكن،(د.ط)، ١٣٧٤ - ١٣٧٥هـ/١٩٥٤ - ١٩٥٥م.

٤٠. سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام: الغامديّ، الدكتور سعد بن محمّد حذيفة، دار ابن حذيفة، الرياض،(د.ط)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤١. سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي القسطنطينيّ العثمانيّ (ت١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، منظمة المؤتمر الإسلامي، إستانبول،(د.ط)، ٢٠١٠م.

٤٢. السلوك لمعرفة دول الملوك: المقريزيّ، تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الشافعيّ (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٦؛ كما استندنا إلى الطبعة التي حقّقها محمّد عبد القادر عطا، وصدرت عن دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤٣. سير أعلام النبلاء: الذهبيّ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الدمشقيّ الشافعيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بيروت، ١٤٠١هـ.

٤٤. شدّ الإزار في حَطِّ الأوزار عن زوَّار المزار: جُنَيْد الشيرازيّ، معين الدين أبو القاسم (ألَّف كتابه سنة ٧٩١هـ)، تحقيق: محمّد بن عبد الوهاب قزويني، مطبعة المجلس، طهران،(د.ط)، ١٩٤٩م.

٤٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العكريّ (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق،(د.ط)، ١٤٠٦هـ.

٤٦. صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشنديّ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاريّ الشافعيّ (ت٨٢١هـ)، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة السورية، دمشق،(د.ط)، ١٩٨١م.

٤٧. صدق الأخبار: ابن سبَاط، حمزة بن أحمد بن عمر الغربيّ(توفي بُعَيد ٩٢٦هـ)، جروس برس، بيروت، (د.ط)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٨. الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع: السخاويّ، شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن الشافعيّ (ت٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت(د.ط)، (د.ت).

٤٩. طبقات الشافعية الكبرى: السُّبكيّ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبْكيّ

الشافعيّ (ت٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، مصر،(د.ط)، ١٩٩٢م.

٥٠. العبر في خبر مَن غَبَر: الذهبيّ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الدمشقيّ الشافعيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجّد، مطبعة الحكومة، الكويت،(د.ط)، ١٩٨٤م.

٥١. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: الأشرف الغسانيّ، إسماعيل ابن العباس بن رسول (ت٨٠٣هـ)، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي ودار البيان، بغداد، (د.ط)، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٥٢. العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين: تقي الدين الفاسيّ، محمّد بن أحمد بن علي المالكيّ (ت٨٣٢هـ)، تحقيق: محمّد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت،(د.ط)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٥٣. عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان، الجزء الخاص بحوادث ٦٤٨ - ٦٦٤هـ: العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفيّ (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد أمين، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٤. عيون التواريخ: ابن شاكر، محمّد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ الدارانيّ الدمشقيّ الشافعيّ (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد،(د.م)،(د.ط)، ١٩٨٠م.

٥٥. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ابن الطِّقْطَقَى، محمّد بن علي بن طَباطَبا العلويّ الإماميّ (ت٧٠٩هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

٥٦. كتاب الحوادث، آخر سنة أرَّخ فيها الوقائع كانت ٧٠٠هـ: مجهول، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،(د.ط)، ١٩٩٧م.

٥٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي القسطنطينيّ العثمانيّ (ت١٠٦٧هـ)، تحقيق: شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، إستانبول،(د.ط)، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م.

٥٨. كيف دخل التتر بلاد المسلمين؟ (الأدوار الخفية في سقوط الدولة العباسية): العودة، سليمان بن حمد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥٩. مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني: الصياد، الدكتور فؤاد عبد المعطي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

٦٠. مختصر التأريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس: ابن الكازرونيّ، ظهير الدين علي بن محمّد بن محمود البغداديّ الشافعيّ (ت٦٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، (د.ط)، ١٩٧٠م.

٦١. مختصر في أخبار البشر: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، الملك المؤيد صاحب حماة الشافعيّ (ت٧٣٢هـ)، مكتبة المثنى، القاهرة، (د.ت)، (د.ط).

٦٢. مرآة الزمان: سِبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِز أوغلي البغداديّ الحنبليّ الحنفيّ (ت٦٥٤هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٥١ - ١٩٥٢م؛ كما

استفدنا من الطبعة التي حقّقها الدكتور كامل سلمان الجبوري وصدرت عن دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٦٣. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العُمَريّ، أحمد بن يحيى القُرَشيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (ت٧٤٩هـ)، حقَّق بعض أسفاره وأشرف على تحقيقه الدكتور كامل سلمان الجُبُوريّ بالاشتراك مع الأستاذ مهدي النَّجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٦٤. المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار: الصلّابي، الدكتور علي محمّد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت،(د.ط)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٦٥. مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب: ابن واصل، محمّد بن سالم بن واصل المازنيّ التميميّ الحمويّ الشافعيّ (ت٦٩٧هـ)، ج٦، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، (د.ط)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦٦. منتخب الزمان في تأريخ الخلفاء والعلماء والأعيان: ابن الحريري، أحمد بن علي بن المغربيّ (كان حياً سنة ٩٢٦هـ)، تحقيق: عبده خليفة، دار عشتار، بيروت،(د.ط)، ١٩٩٣م.

٦٧. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأتابكيّ الحنفيّ (ت٨٧٤هـ)، ج ٧، تحقيق: الدكتور محمّد محمّد أمين، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٣م.

٦٨. المواقف: عضد الدين الإيجيّ، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفّار الشافعيّ (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٦٩. مورد اللّطافة في مَن وليَ السلطنة والخلافة: ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأتابكيّ الحنفيّ (ت٨٧٤هـ)، تحقيق: نبيل محمّد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٧م.

٧٠. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار: المقريزيّ، تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الشافعيّ (ت٨٤٥هـ)، بولاق، القاهرة،(د.ط)، ١٢٧٠هـ.

٧١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الأتابكيّ الحنفيّ (ت٨٧٤هـ)، دار الكتب المصرية،(د.ت)، القاهرة،(د.ط).

٧٢. نزهة الأنام في تأريخ الإسلام: ابن دقماق، إبراهيم بن محمّد بن أيدمر العلائيّ الحنفي (ت٨٠٩هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور سمير طَبَّارة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت،(د.ط)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٧٣. نهاية الأرب في فنون الأدب: النويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكريّ الشافعيّ (ت٧٣٣هـ)، تحقيق: مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٧٤. هدية العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين: إسماعيل باشا الباباني، بن محمّد بن أمين بن مير

سليم البغداديّ (ت١٣٣٩هـ)،(د.د) إستانبول،(د.ط)، ١٩٦٠.

ثانياً: الفارسية

٧٥. أدبيات فارسي بر مبناي إستوري: ستوري، تشارلز أمبروز (ت١٩٦٧م)، ترجمة: يحيى آرين بور ورفيقيه وتحرير: أحمد منزوي، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران،(د.ط)، ١٩٨٣م.

٧٦. تاريخ جهانگشاي: الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك بن محمّد بن محمّد (ت٦٨١هـ)، تحقيق: شاهرخ موسويان، استناداً إلى الطبعة التي حقّقها محمّد بن عبد الوهاب قزويني، نشر دستان، طهران،(د.ط)، ٢٠٠٦م.

٧٧. تاريخ مغول أز حمله جنكيز تا تشكيل دولت تيمور: إقبال، عباس آشتياني (ت١٩٥٦م)، نشر مؤسسة أمير كبير، طهران،(د.ط)، ١٩٨٥م.

٧٨. تجارب السلف: هندوشاه النخجواني، ابن سنجر بن عبد الله الصاحبي الجيرانيّ الشافعيّ (كان ما زال يُدَوِّن كتابه هذا سنة ٧٢٤هـ)، تحقيق: عباس إقبال، كتابخانه طهوري، طهران، (د.ط)، ١٩٧٩م.

٧٩. جامع التواريخ (تاريخ المغول): رشيد الدين الهمذانيّ، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير الشافعيّ (ت ٧١٨هـ)، تحقيق: الدكتور بهمن كريمي، نشر إقبال، طهران،(د.ط)، ١٩٨٣م.

٨٠. جغرافياي حافظ أبرو: حافظ أبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافيّ الشافعيّ (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: صادق سجادي، نشر بنياد ودفتر نشر ميراث مكتوب، طهران،(د.ط)، ١٩٩٧م.

٨١. شيراز نامه: زركوب الشيرازيّ، أحمد بن حمزة الذهبيّ (ت٧٨٩هـ)، تحقيق: الدكتور إسماعيل واعظ جوادي، بنياد فرهنگ إيران، طهران،(د.ط)، ١٩٧٢م.

٨٢. فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران: أفشار إيرج، نشر جامعة طهران، طهران،(د.ط)، ١٩٦٩م.

٨٣. مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار: الآقسرائي، كريم الدين محمود بن محمّد (توفي في المدة ما بين ٧٢٣ و٧٣٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عثمان توران، أنقرة،(د.ط)، ١٩٤٣م.

٨٤. مجمل التواريخ: فصيح الخوافي، أحمد بن محمّد بن يحيى الباهليّ (توفي بعد ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمود فرخ، كتاب فروشي باستان، مشهد،(د.ط)، ١٩٦١م.

٨٥. نزهة القلوب: حَمْدُ الله المُسْتَوفي، ابن أبي بكر أحمد الرِّياحيّ القزويني (ت٧٥٠هـ)، تحقيق: غاي لسترنج، ليدن،(د.ط)، ١٩١٥م.